الكتاب: التشيع والوسطية الإسلامية
المؤلف: أكرم عبد الكريم ذياب
الجزء:
الوفاة: معاصر
المجموعة: من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية
تحقيق:
الطبعة:
سنة الطبع:
المطبعة:
الناشر:
ردمك:
ملاحظات:

التشيع والوسطية الإسلامية
د. محمد عمارة من الاعتزال إلى السلفية
ومن المعارضة إلى التطبيع
أكرم عبد الكريم ذياب

بسم الله الرحمن الرحيم
أما بعد:
فقد طالعنا مجلة الوطن العربي في عددها المرقم ١٠٢٨، الصادر في ١٥ / ١١ / ١٩٩٦ ص ٢٢ – ٢٣، بحوار تحت عنوان
: رأي الوسطية الإسلامية في الفكر الشيعي، للدكتور محمد عمارة، الذي – ولأول وهلة – يحسب القارئ له أنه
يحمل في طياته فكرا جديدا من شأنه المساعدة في تحقيق مفهوم الوحدة الإسلامية التي يرمي إليها العالم الإسلامي
المعاصر.
ولكن للأسف! وجدنا الدكتور المذكور يحول الوسطية الإسلامية المدعاة من قبله إلى انتقادات لاذعة، وتصورات
لا أساس لها في الواقع سوى أنها جاءت كالسهام تطال جسد الأمة الإسلامية التي كانت ولا تزال تعاني من التشرذم
.

وإذا به بدلا من السعي لترميم واقعها تراه يصف الشيعة بالغلو لفكرة أو عقيدة اعتقدوا بها وأسسوا لها أبحاثا
قد لا يكون الدكتور تفحص في محتوياتها، أو تفحص فيها بلا عمق ودقة، جاعلا الوسطية عنوانا لطريقة اختارها
في ذم الشيعة والقدح في اجتهاداتهم.
ولا نظن أن توحيد الصف وصيانة الوحدة وتماسك النسيج يمر عبر نعت الشيعة بأنهم يخلخلون وحدة المذهب ويصنعون
القلق الطائفي تحت حجة أن الشيعة لم يلتزموا الوسطية..
ثم نراه يتعرض لطرح الإشكاليات والانتقادات المردودة، مع ما للشيعة من أقلام تدافع عن الوحدة الإسلامية
إلا أنها لا تقبل بتاتا المس بمقدساتها والطعن في اجتهاداتها بلا مبررات موضوعية لها، وليس ذلك سوى جهلا
أو تجاهلا للحقيقة.
وإننا أمام تلك الشبهات المطروحة نجد أنفسنا مضطرين للدفاع عن تلك المعتقدات، منتقدين وجهة النظر التي صبت
الشيعة في خانة المتطرفين والمزعزعين لوحدة الصف التي ينظر من خلالها أمثال الدكتور إلى التشيع نظرة سلبية
ومحدودة، ولكن هذه المرة تحت عناوين براقة: كالوسطية والوحدة وغيرهما...
والحق أن الحوار لا يخلو من التناقضات الواضحة إذ إنه تارة يطالعنا بقوله: علينا أن نحاور بالفكر وأخرى
يقول لنا: من حق التشيع أن يحتفظ بفكره وتعصب الشيعة لأئمتهم جعلهم يشقون صف الأمة.. إلى آخره من الاتهامات
المدفوعة والحجج الموهومة التي لا واقع لها، خصوصا لمن استقرأ التشيع وعرفه حقا.
وأمام هذه الهجمة الشرسة على الشيعة، التي لا تخدم سوى أعداء

الإسلام، نتناول بعضا مما ذكره الدكتور، مفندين تلك الادعاءات، ومستهلين البحث بما استهل به حديثه فنقول
، وبالله نستعين – كما قال هو –:
عندما نتحدث عن قضية الفكر الشيعي يحسن أن نضبط هذه القضية سواء في واقعها التاريخي أو في واقعها المعاصر
...
والحق أن المتحدث لم يستطع ضبط حقيقة هذه القضية كما ادعى من جهة، ولا أنه أحسن في ضبط رأيه تجاهها من جهة
أخرى..
وليس كلامنا – عزيزي القارئ – جناية عليه، وإنما من دقق وتمعن في محتوى ما ذكره الدكتور في مستهل حديثه
، وقارنه بما استأنف به كلامه حول القضايا المختلفة، يستنتج – بلا شك أو ريب – ما استنتجناه.
وللوقوف على تلك الحقيقة يحسن استعراض بعضها إجمالا ليتبين لك الحق من الباطل:
أولا: تناقض في الحوار:
إن في كلام الدكتور تناقضا واضحا، إذ إنه في بداية الحوار ذكر أن فرقا من الغلاة الشيعة وهؤلاء أغلبهم قد
انقرض....
وقال: أن التيار الشيعي الذي وقف بين بين، أي ليس غلوا وليس زيديا في اقترابه من الفكر السني يمثل الآن
أغلب الشيعة المعاصرين.
ثم ينعطف فيقول: لكن المصريين تعاطفوا... دون أن يتحول هذا التعاطف إلى الغلو الذي يجعلهم معصومين أو
الذي يجعلهم يحتكرون الإمامة والخلافة والسلطة دون الأمة!
ولا شك – عزيزي القارئ – أن هذا هو التهافت بعينه، إذ كيف يدعي

تارة أن الشيعة المعاصرين ليسوا غلاة ويعود فيتهمهم بالغلو لتمسكهم بالعصمة وإمامة الأئمة عليهم السلام،
مع العلم أن هذا هو مذهب أغلب المعاصرين من الشيعة إذا صح التعبير.
ثانيا: غياب المصطلح:
لعله غاب عن ذهن الدكتور معنى الغلو، المصطلح عليه في علم الكلام وفي الملل والنحل، حتى راح ينسبه للشيعة
دون أدنى تعمق منه بعقائدهم، معتقدا بأن العصمة للأئمة غلوا، وهذا باطل كما سيتبين.
ثالثا: زور وبهتان:
لا يخفى أن عد الغلاة من الشيعة زور وبهتان وإن قالوا – أي الغلاة – بألوهية الأئمة عليهم السلام، إذ كيف
يصح نسبة تلك الفرق إلى الشيعة وهم ليسوا بمسلمين؟!
وهل يؤخذ البرئ بجرم المعتدي؟!
ناهيك عن الموقف الواضح لأئمتنا من الغلاة إذ إنهم لعنوهم وطردوهم وحذروا شيعتهم منهم، فكانوا يقولون:
لعنهم الله (الغلاة) إنا لا نخلو من كذاب يكذب علينا، أو عاجز الرأي، كفانا الله مؤنة كل كذاب، وأذاقهم
الله حر الحديد.
كما أخرج الكشي عن أبي بصير، قال: قال لي أبو عبد الله: يا أبا محمد! إبرأ ممن يزعم أنا أرباب.
قلت: برئ الله منه.
فقال: إبرأ ممن يزعم أنا أنبياء.

قلت: برئ الله منه (١).
هذا، ولدينا أدلة على أن هذه الفرق بمعظمها – إن لم نقل كلها – من افتعال السلطات الجائرة وأعداء أهل البيت
عليهم السلام.
رابعا: قلة الدراية بعقائد الفرق:
قال: لأن الزيديين لا يكادون يختلفون عن الفكر السني، وهم في الأصول قريبون من المعتزلة....
والصحيح أن الزيدية في الأصول هم أقرب إلى الاثني عشرية من أهل السنة وإن اختلفوا في التفصيل والتفريع.
وللتحقيق نذكر ما يلي:
أ – مفارقة واضحة:
إن ما صنفه الدكتور احتكارا للسلطة وغلوا في الشيعة – كما مر بك – يعتقد به الزيدية، وليس عليك إلا مراجعة
كتبهم الدالة على ذلك ومنها العقد الثمين في معرفة رب العالمين تأليف: الأمير الحسين بن بدر الدين محمد (
٥٨٢ – ٦٦٢ ه) في فصل الإمامة بعد الحسنين قال:
فإن قيل: لمن الإمامة بعدهما؟
فقل: هي محصورة في السبطين ومحظورة على ما عدا السبطين... وقد انعقد إجماع المسلمين على جوازها في أولاد
فاطمة عليها السلام ولا دليل على جوازها في غيرهم، فيبقى من عداهم لا يصلح.

---

(١) رجال الكشي: ٢٩٧ ح ٥٢٩، عنه بحار الأنوار ٢٥ / ٢٩٧ ح ٦٠.

ب – عقائد الزيدية:
قال: الزيدية شيعة لكنهم لم يجعلوا الإمامة أصلا من أصول الإعتقاد...
والواقع أن هذا ليس صحيحا، لأن من راجع كتبهم ومصادرهم يتبين له الحق كما في المصدر المذكور سابقا، حيث
عقد المؤلف لها بحثا منفردا في فصول متعددة جاعلا منها أصلا من الأصول الخمسة التي تقول بها الإمامية، مبتدئا
بقوله:
فإن قيل: من أول الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأولى الأمة بالخلافة بعده بلا فصل؟
فقل: ذلك أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب.
فإن قيل: هذه دعوى، فما برهانك؟
فقل: الكتاب، والسنة، وإجماع العترة.
وفي كتاب الأحكام للإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم (٢٤٥ – ٢٩٨ ه)، قال:
فإذا فهم ذلك، ولاية أمير المؤمنين وإمام المتقين علي بن أبي طالب رحمة الله عليه واجبة على جميع المسلمين
فرض من الله رب العالمين، ولا ينجو أحد من عذاب الرحمن، ولا يتم اسم الإيمان حتى يعتقد بذلك بأيقن الأيقان
، لأن الله سبحانه يقول: (إنما وليكم...) (١).
كما يمكن للدكتور عمارة مراجعة كتاب الأساس لعقائد الأكياس في

---

(١) الأحكام – طبعة ١٤١٠ ه – ١ / ٣٦.

معرفة رب العالمين وعدله في المخلوقين للإمام المنصور بالله القاسم بن يحيى بن علي الزيدي (ت ١٠٢٩ ه)
، منشورات دار التراث الإسلامي صعدة اليمن، ١٩٩٤، ص ١٥٠ - ١٥١.
* * *

القضايا التي يختلف فيها الشيعة عن السنة
ابتداء نتعرض لقضية ادعى الدكتور فيها أن الفتوى التي صدرت من المرحوم الإمام الأكبر الشيخ شلتوت عن أن المذهب
الشيعي مذهب إسلامي... كانت خاصة بالمذهب الجعفري، وليست خاصة بنظرية الإمامة عند الشيعة، ولكن بعض
الناس خلطوا هذين الأمرين....
والمفهوم من كلامه أمران:
الأول: أن الاقرار بأن المذهب الشيعي مذهب إسلامي لا يتعدى الجانب الفقهي، وبمعنى آخر أن الفتوى لا تبيح
الجانب الاعتقادي للشيعة، وأن نظرية الإمامة ليست مذهبا إسلاميا يتعبد به.
والحاصل عند الدكتور - اعتمادا على رأيه الذي سنوافيك به - تكفير الشيعة بلا محالة بحسب الأصول الفقهية،
لأن الإمامة تصبح بنظره بدعة وغلوا، لأنه إدخال في الدين ما ليس منه وإن صرح خلافه.
الثاني: أنه يرى إمكانية الفصل بين الفقه والعقيدة فيما لو أريد الاتباع.
ونجيب على حاصل المفهوم فنقول:

أولا: إن هذا يتنافى مع قناعته التي تفضل بها عندما قال: أنا لا أميل إلى استخدام أساليب التكفير في داخل
الأمة الإسلامية وصرح بما يفيد أن الشيعة جزء من الأمة الإسلامية.
ثانيا: لا أدري من أين له أن يفصل في المذاهب بين الفقه والعقيدة وكأنه نسي حينها بأن الأول نعني به الفروع
والثانية نعني بها الأصول، وإنما الفروع تابعة للأصول.
ويشهد بهذا ما حكم به هو – حسب اعتقاده – من القول بتكفير الشيعة لأهل السنة – وإن لم يصرحوا – إذ لا بد
من إجراء أحكام الكفر على منكر الإمامة فقها كما قال، مثيل من أنكر التوحيد أو النبوة أو المعاد، وهذا
يعني في الحقيقة عدم إمكانية فصل الأصول عن الفروع في المذاهب، لأن كثيرا من أحكام الأخيرة تتوقف على الإعتقاد
بالأولى كما بينا.
هذا كله فيما لو صح كلام الدكتور بأن فتوى الشيخ شلتوت إنما كانت خاصة بالمذهب الجعفري، وليست خاصة بنظرية
الإمامة، ومن عاد إلى الوراء قليلا – وبالتحديد إلى زمن صدور الفتوى في ٧ / ٧ / ١٩٥٩ – لعرف الحقيقة الدامغة
التي تدحض كل ما جاء به الدكتور، من تلبيسات وأوهام بشأنها...
وللتوضيح أنقل – مقتطفا – بعضا مما جاء فيها باختصار، قال شيخ الأزهر السابق:
أولا:... ولا عبرة بما يكتب في بعض الكتب عن انحصار المذاهب التي يجوز تقليدها في الأربعة المشهورة،
ولا بما يقال من أن: من قلد مذهبا فليس له أن ينتقل منه إلى غيره.
وفي ذلك يقول الشيخ عز الدين بن عبد السلام: لم يزل الناس يسألون

من اتفق من العلماء من غير تقيد بمذهب، ولا إنكار على أحد من السائلين، إلى أن ظهرت هذه المذاهب ومتعصبوها
من المقلدين، فإن أحدهم يتبع إمامه مع بعد مذهبه عن الأدلة مقلد له في ما قال، كأنه نبي مرسل، وهذا نأي
عن الحق وبعد عن الصواب لا يرضى به أحد من ذوي الألباب.
ثانيا:...
ثالثا: إن هناك فرقا تنتسب إلى علي، وهم شيعته المهتدون، ومن هؤلاء الشيعة الصالحين الطائفة المعروفة
ب الجعفرية أو ب الإمامية الاثني عشرية.
رابعا: لهذه الطائفة المعروفة أصولها المستمدة من كتاب الله تعالى ومن سنة رسوله المروية عن أئمتهم في العقيدة
والشريعة.
وليس الخلاف بينهم وبين مذاهب السنة، أعظم من الخلاف بين مذاهب السنة بعضها مع البعض، فهم يدينون بأصول
الدين، كما وردت في القرآن الكريم والسنة المتواترة، كما يؤمنون بكل ما يجب الإيمان به ويبطل الإسلام بالخروج
عنه من الأحكام المعلومة من الدين بالضرورة...
خامسا:.... انتهى.
والمنصف الذي يطالع الفتوى، يعلم بأن الشيخ شلتوت إنما قدم هذه النقاط الخمس حتى يتضح جليا مراده، وهذا
ما صرح به هو بعد تلك النقاط، قائلا في نفس نص الفتوى: ومن هذا البيان يتضح جليا، فذيل الفتوى – على مقتضى
الاستفتاء – بجواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية بلا فرق بين العبادات والمعاملات، مدركا بأن
التعبد بالمذهب فقها إنما يتوقف على بيان صحة أصول الدين التي يعتقدون بها، وهو ما ثبته في المقدمة المذكورة
آنفا، فلا مجال لدعوى الفصل بين

المذهب الشيعي كفقه وبين المذهب الشيعي كأصول للدين حسب رأي شيخ الأزهر.
(ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) (١).
قضية آل البيت:
قال: وأنا أقول إن هذه ليست قضية خاصة بالشيعة، لأن كل السنة يحبون آل البيت، وأئمة آل البيت هم من أئمة
المسلمين الذين يتعاطف معهم المسلمون... لكن المصريين تعاطفوا معهم لأنهم اضطهدوا، لكن دون أن يتحول
هذا التعاطف إلى الغلو الذي يجعلهم معصومين، أو الذي يجعلهم يحتكرون الإمامة والخلافة والسلطة دون الأمة
.
والكلام عن تلك المقالة يقع في نقطتين:
الأولى: في السلوك العملي المخالف:
دعنا من الذي تميز به الشعب المصري عن غيره من حب لأهل البيت عليهم السلام، إلا أن القول بأن كل السنة يحبون
أهل البيت عليهم السلام فيه نظر، لأن هذا أمر لم تترجمه السيرة العملية، ولا شهده شيعة أهل البيت عليهم
السلام في السلوك العملي لكثير من اتباع مذاهب أهل السنة.
وهذا نجده جليا في تدوين الصحاح والمسانيد للحديث إذ إن بعضهم أعرض عن الرواية لأئمة أهل البيت عليهم السلام
، والبعض الآخر تعرض لما يوافق مذهبه لا غير، فالبخاري مثلا أعرض عن أحاديث الإمام جعفر الصادق عليه السلام
، وأخرج منها لمن يكن العداء والحقد للإمام علي عليه السلام
*

---

(١) سورة البقرة ٢: ٤٢.

كعمران بن حطان الذي مدح قاتل الإمام عليه السلام عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله بقوله:

يا ضربة من تقي ما أراد بها * إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

والحال أن الإمام الصادق عليه السلام عرف بسعة علمه وكثرة الذين نهلوا من يديه العلم الوفير حتى بلغوا أربعة آلاف، ومنهم بعض أئمة المذاهب، أمثال أبي حنيفة النعمان ومالك بن أنس.

فقد اشتهر عن الأول قوله: لولا السنتان لهلك النعمان وكان يعني السنتين اللتين تتلمذ فيهما على يدي الإمام الصادق عليه السلام.

واشتهر عن الثاني قوله: ما رأت عين أفضل من جعفر بن محمد.

ويقول عنه الجاحظ: جعفر بن محمد، الذي ملأ الدنيا علمه وفقهه، ويقال: إن أبا حنيفة من تلامذته وكذلك سفيان الثوري، وحسبك بهما في هذا الباب (١).

وذكره ابن خلكان في وفياته قائلا: كان من سادات آل البيت، ولقب بالصادق لصدقه، وفضله أشهر من أن يذكر (٢).

والعجب أن البخاري، وهو ممن عاصره، لم يدرك فضله وقد أدركه أئمة المذاهب...

وهكذا الحال في المسانيد والصحاح التي نقلت من الرواية والحديث عن الإمام علي عليه السلام ما لا يتجاوز ال ٥٠٠ حديث! بينما نقلت عن أبي هريرة ٦ آلاف حديث! والأخير لم يمض سوى سنتين وأشهر مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم!

---

(١) رسائل الجاحظ - للسندوبي -: ١٠٦.

(٢) وفيات الأعيان ١ / ٣٢٧ رقم ١٣١.

أما الإمام علي عليه السلام فقد ربي في حجر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولم يتجاوز عمره بضع سنوات.
وسيرة الخلفاء والحكام لأكبر شاهد على الممارسات الظالمة بحق أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم، من القتل
والتشريد والسب، لمجرد أن ذنبهم الوحيد هو اتباع علي بن أبي طالب عليه السلام وأولاده لا غير.
والدكتور نفسه قد أيقن بمظلوميتهم عبر التاريخ، ولذا فسر حب المصريين لهم بسبب الاضطهاد...
وهذا الوضع من السلوك وإن تغير قليلا في الوقت الحاضر، إلا أنه لا يزال يمارس في مختلف الدول، حيث إن بعضها
جرد الشيعة من حقوقهم المدنية – كما في ماليزيا – والبعض الآخر جعل يكيل التهم إليهم فيعتقل الواحد تلو الآخر
خوفا على الحكم من التشيع والفكر الشيعي الذي لا يقبل المساومة على الحقوق المسلوبة.
الثانية: في الحب المزدوج:
قبل كل شئ لا بد من الإشارة إلى أننا نكن خالص الاحترام والحب للشعب المصري، خصوصا لتميزه عن الشعوب الأخرى
بحب أهل البيت عليهم السلام...
ولكن، أليس من واجب الدكتور – ومن باب الأمانة العلمية – تعريف الآخرين بالمضطهد حتى لا يختلط الأمر عليهم
فيحب الواحد منهم المضطهد والمضطهد معا؟!
وهل يعقل هذا النوع من الحب المزدوج؟!!
* * *

قضية الإمامة:
لما كانت الإمامة – كما قال بأنها – تمثل نقطة الخلاف الوحيدة بين السنة والشيعة، ارتأينا أن نوضح للدكتور
بعض الحقائق التي عزف عن ذكرها، متناولين في القضية نقاطا عديدة:
النقطة الأولى: في النص:
قال: إذن القضية أنهم جعلوا الإمامة بالتعيين، وقالوا بروايات انفردوا بها: أن الإمام والوصي بعد رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الإمام علي...
أقول: نعم، فالشيعة قائلون بالنص في مقابل غيرهم الذين اضطربوا تارة فقالوا بالنص على أبي بكر، وتذبذبوا
أخرى فادعوا الإجماع عليه، وثالثة جعلوا الشورى هي الأساس في الإمامة والخلافة بعد النبي صلى الله عليه
وآله وسلم.
ومن المناسب في المقام التعرض إلى أمور، منها:
أ – تعريف الإمامة في كتب الفريقين:
يقول السعد التفتازاني في تعريفها أن: الإمامة رئاسة عامة في أمر الدين والدنيا خلافة عن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم (١).
وأما علامتنا الحلي فيقول: الإمامة رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص نيابة عن النبي صلى الله عليه
وآله وسلم (٢).

---

(١) شرح المقاصد في علم الكلام: ٢٣٤.
(٢) الباب الحادي عشر مع شرحه النافع يوم المحشر – للمقداد بن عبد الله الحلي –: ٨٢.

ومن الواضح أن الفريقين من حيث المبدأ اتفقوا على تعريف الإمامة من حيث المفهوم، ولكنهم اختلفوا في من له
الإمامة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من جهة، وأنها هل هي منصب عادي أم أنها منصب رباني من جهة أخرى
.(١)
ب – الخلافة عند أهل السنة:
قال: أهل السنة يعتبرون أن الإمامة بمعنى الخلافة جزء من الشورى، وأنها جزء من سلطة الأمة، وأن الإمامة
ب (البيعة) و (الاختيار) و (الشورى)، بينما الشيعة يعتبرون الإمامة ب (النص) و (التعيين من السماء
) لهؤلاء الأئمة، وأن الأمة لا شأن لها في اختيار الإمام، والشورى لا دخل لها في اختيار الإمام، والبيعة
لا دخل لها في اختيار الإمام.
وقال أيضا: الميادين الحقيقية للاجتهاد يتميز بها الفكر السني كفكر عقلاني في النظر إلى الأمور وإلى الشورى
وإلى سلطان الأمة، أين هو التميز بين مذهبين؟! أحدهما يقول: إن الأمة لا شأن لها بالدولة والسياسة والإمامة
، ومذهب يقول: إن الأمة هي المعصومة (لا تجتمع أمتي على ضلال)، وفيه العصمة للأمة.. والشورى للأمة
.. والسلطان للأمة.
والحق أن المتتبع لما قيل عن الخلافة في كتب أهل السنة يستخلص – كما أشرنا – أن القول بصحتها لأبي بكر يرجع
إلى ثلاثة آراء:
الأول: في النص عليه:

---

(١) للمزيد من الاطلاع في المسألة راجع كتاب الإمامة في أهم الكتب الكلامية، وعقيدة الشيعة الإمامية، السيد علي الحسيني الميلاني – منشورات الشريف الرضي، ص ٤٤.

وهذا لم يذكره الدكتور نفسه لوضوح أنهم لا يقولون بالنص، إذ لا محصل له ولا دليل عليه سوى ما ادعاه بعض
أهل السنة أمثال البكرية، وهو قول شاذ لم يلتزم به أحد من أكابرهم لضعف الأدلة عليه، ولم يصل إلينا أن
أبا بكر احتج على أحد بالنص عليه من قبل النبي، وإلا لما حصل في سقيفة بني ساعدة ما حصل!!
الثاني: في الإجماع عليه: ودليلهم ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا تجتمع أمتي على ضلال أو
: على خطأ كما في بعض النصوص، ونحن لو سلمنا بها وبصدورها منه صلى الله عليه وآله وسلم إلا أنها لا تنفع
في مقام الاستدلال على خلافته، لأنها خارجة تخصصا، إذ كيف يدعى إجماع الأمة على صحة خلافة أبي بكر وفيها
من الصحابة الكبار الذين كانوا يعارضونها، أبرزهم الإمام علي عليه السلام والعباس بن عبد المطلب والفضل
ابن عباس وخالد بن سعيد والمقداد بن الأسود الكندي وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر والبراء بن عازب، وغيرهم، خصوصا من بني هاشم.
وهذا اليعقوبي يصرح في تخلف علي عليه السلام وبعض الصحابة عن بيعة أبي بكر.
وذاك البلاذري في أنسابه (١) وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (٢) ز - ينقلان أن أبا بكر بعث عمر
إلى علي عليه السلام حين رفض البيعة له وقال: إئتني به بأعنف العنف فلما أتاه جرى بينهما كلام، فقال عليه
السلام: إحلب حلبا لك شطره، والله ما حرصك على إمارته اليوم إلا ليؤثرك

---

(١) أنساب الأشراف - للبلاذري - ١ / ٥٨٧.
(٢) شرح نهج البلاغة ٦ / ١١.

غدا..
ويبقى أن نسأل أين هو هذا الإجماع للأمة؟!
الثالث: في الشورى:
في الواقع يتساءل الإنسان عن تلك الشورى التي كانت محور الخلافة عند أهل السنة، حتى جعل الدكتور يميز بين
المذهبين معتبرا أن الشيعة عندما يقولون بالعصمة للأئمة بالنص عليهم يسلبون الأمة حقها..
وهذا في الحقيقة جهل من الدكتور لحقيقة التشيع، وسنوافيه بالحق عند البحث في العصمة، إلا أن القول بأن
الشورى هي التي تعصم الأمة من الخطأ، وأن الخلافة هي جزء من الشورى يستلزم بطلان خلافة الأول والثاني!
وتوضيح ذلك في ما يلي:
١ - الشورى والسقيفة:
إن من سبر أغوار السيرة وتتبع مجرى الأحداث في سقيفة بني ساعدة، يتضح له أن ما جرى لم يكن في الحقيقة شورى
، وإنما نزاع ومشاحنة حادة على السلطة.
وأين هي تلك الشورى التي ليست لها ضوابط محددة، حتى وصلت إلى حد السباب والهم بالقتل؟!
وحتى لا نكون من أصحاب الشعارات البراقة.. لا بأس بالعودة إلى الوراء قليلا وإلقاء نظرة سريعة من نافذة
سقيفة بني ساعدة، حتى يعلم الخبر كما في كتب أهل السنة.
نقل الطبري في تاريخه أن الحباب بن منذر، الصحابي البدري،

عندما ارتفعت الأصوات رد على عمر قائلا: يا معشر الأنصار! أملكوا على أيديكم، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه
فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم ما سألتموهم فأجلوهم عن هذه البلاد وتولوا عليهم الأمور.
..
فقال عمر: إذا يقتلك الله!
قال الحباب: بل إياك يقتل! (١).
وهذا الطبري من نفس الجزء، وأحمد في مسنده ينقلان قول بعضهم: اقتلوا سعدا قتله الله، إنه منافق أو صاحب
فتنة وقد قام عمر على رأسه ويقول: لقد هممت أن أطأك حتى تندر عضوك أو تندر عيونك (٢) ع.
وقد نقل الطبري أيضا وفي نفس المصدر، وكذا في السيرة الحلبية أن قيس بن ساعدة أخذ بلحية عمر، فقال له الأخير
: والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة! أو: لخفضت منه شعرة ما رجعت وفي فيك جارحة (٣)..
وقد ذكر الطبري في المصدر السابق عن أحدهم قوله: إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا الدم.
وهذا ابن هشام في السيرة النبوية ينقل عن عمر قوله: كثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى تخوفت الاختلاف (٤)
...

---

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٢٠٩.
(٢) مسند أحمد ١ / ٥٦، تاريخ الطبري ٣ / ٢١٠.
(٣) السيرة الحلبية ٣ / ٣٨٧.
(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٦٦٠.

وهل مثل هذا الاجتماع وبهذه الكيفية يسمى شورى؟!!
وهل إن مثل هذه البيعة هي التي ترتضيها الأمة؟!
الجواب هو ما تلفظ به عمر نفسه عندما قال:
كانت بيعة أبي بكر فلتة كفلتة الجاهلية وقى الله المسلمين شرها.
وبلفظ آخر: كانت بيعة أبي بكر فلتة فتمت، وإنها قد كانت كذلك إلا أن الله قد وقى شرها، من بايع رجلا من
غير مشورة من المسلمين، فإنه لا بيعة له (١).
٢ – الشورى وخلافة الثاني:
لو صح ما قاله الدكتور بأن الشورى هي المقوم للخلافة، فأين هي وأين هو سلطان الأمة في خلافة الثاني؟!
لأنك لو ألقيت نظرة سريعة في صفحات التاريخ لعلمت أنها – أي خلافة عمر – لم تكن سوى استخلافا، يقول ابن
قتيبة: دعا أبو بكر عثمان فقال: أكتب عهدي. فكتب عثمان وأملى عليه: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما
عهد به أبو بكر بن أبي قحافة آخر عهده بالدنيا نازحا عنها، وأول عهده بالآخرة داخلا فيها، إني أستخلف عليكم
عمر بن الخطاب... (٢) وزاد ابن الأثير في الكامل في التاريخ أن أبا بكر غشي عليه فأكمل عثمان وكتب فيه
استخلاف عمر فأفاق أبو بكر وقال: اقرأ علي. فقرأ
عليه، فكبر أبو بكر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن مت في

---

(١) راجع السيرة النبوية ٢ / ٦٥٨، تاريخ الطبري ٢ / ٤٤٦.
(٢) الإمامة والسياسة ١ / ١٨.

غشيتي (١).
ومن الثابت أيضا قول عمر كما نقل الطبري، وفي تاريخ الخلفاء: لو كان أبو عبيدة بن الجراح حيا استخلفته
، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا استخلفته (٢).
٣ - الشورى في الميزان:
ولنا الحق أن نقول: ترى هل أدرك أبو بكر أن الاستخلاف هو أفضل السبل لإبعاد الأمة عن الفتنة، وأن الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم لم يدرك هذا السبيل؟!
نقول أيضا: أترى أن عمر أدرك بنفسه أهمية أن يعين هو أسماء الذين سيشكلون الشورى من بعده، والنبي صلى الله
عليه وآله وسلم قد خفي عليه هذا الأمر؟!
وكيف يعقل أن يبين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم صغائر الأمور وأحكامها حتى التخلي وينسى أن يبين للناس
أحكام تلك الشورى المزعومة ووظائفها، التي إليها يرجع مصير الأمة، فلا يعين أفرادها ولا يبين أحكامها؟
!
كلها أسئلة ليس لها من جواب!
غير أن الشورى لم تكن مفهوما مرتكزا بين الصحابة حتى عند أبي بكر وعمر، ولا كانت أساسا تبني عليه الأمة
صلاحها.
والذي يثبت - حقا - أن الشورى ليست هي الجزء المقوم للخلافة، وما ادعي من دلالة بعض الآيات عليها ليس واضحا
، وهو خارج عن محل

---

(١) الكامل في التاريخ ٢ / ٢٩٢.
(٢) تاريخ الطبري ٥ / ٣٤، تاريخ الخلفاء: ١٢٧.

البحث بالإضافة إلى أنها منقدحة بترك الخلفاء لها، ومجملة لم يبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحكامها
لو صح الاستدلال بها... فيبقى أن نعود إلى النص لنرى مدى صحة ما اعتقد به الشيعة في النص على علي عليه
السلام.
ج – أدلة الشيعة على إمامة علي عليه السلام:
قال: قالوا بروايات انفردوا بها....
لا أدري كيف توصل الدكتور إلى هذه النتيجة؟! مع العلم بأن كتب الشيعة تزخر بالإثباتات والأدلة التي ذكرت
في كتب الفريقين، وقد حققت في محلها، إلا أننا تفنيدا لما ادعي نبحث في بعضها اختصارا، معتمدين على شواهد
من القرآن والسنة يؤيدها حكم العقل، مع ذكر أهم المصادر لأهل السنة.
١ – فاتحة الكلام:
وهي في مقدمة عقلية مفادها أن الإمامة كالنبوة، لطف من الله تعالى، فلا بد أن يكون في كل عصر إمام هاد
يخلف النبي في وظائفه، من هداية البشر، وإرشادهم إلى ما فيه الصلاح والسعادة في النشأتين، وله ما للنبي
من الولاية العامة على الناس لتدبير شؤونهم ومصالحهم وإقامة العدل بينهم ورفع الظلم والعدوان من بينهم.
وعلى هذا، فالإمامة استمرار للنبوة، والدليل الذي يوجب إرسال الرسل وبعث الأنبياء هو نفسه يوجب أيضا نصب الإمام بعد الرسول، فلذلك نقول: إن الإمامة لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان النبي

أو على لسان الإمام الذي قبله (١).
إذن فالقضية هي أن الإمامة مقتضى لطف الله عز وجل بعباده، وكماله المطلق، حتى يعرف الناس طريق سعادتهم
وصلاحهم.
٢ – من أدلة الشيعة في القرآن:
نكتفي منها بآية الولاية، وهي قوله تعالى: (إنما وليكم الله ورسوله والذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة
وهم راكعون) (٢) وهي آية مباركة نزلت في حق علي عليه السلام وروايات الخاصة والعامة متضافرة على نزولها
في حقه عليه السلام وقد نقل العلامة الأميني في الغدير (٣) ٦٦ مصدرا من مصادر أهل السنة، نذكر منها:
ذخائر العقبى – لمحب الدين الطبري –: ١٠٢، وتفسير ابن كثير ٢ / ١٤، والنسائي في صحيحه، وابن جرير الطبري
في تفسيره ٦ / ٢٨٩، والحافظ الطبراني في معجمه الأوسط، والزمخشري في الكشاف ١ / ٣٤٧، وابن أبي الحديد
في شرح نهج البلاغة ٣ / ٢٧٥، والقاضي البيضاوي في تفسيره ١ / ٣٤٥، والسيوطي في الدر المنثور ٢ / ٢٩٣.
..
ولفظ الحديث، أنه روي: عن أنس بن مالك أن سائلا أتى المسجد وهو يقول: من يقرض الملي الوفي، وعلي عليه
السلام راكع يقول بيده خلفه للسائل، أي: اخلع الخاتم من يدي.

---

(١) عقائد الإمامية – للشيخ محمد رضا المظفر، منشورات إشكوري، ط ١٤١٣ ه –: ٩٢.
(٢) سورة المائدة ٥: ٥٥.
(٣) الغدير ٣ / ١٩٩ – ٢٠٥، وهو للعلامة عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، مؤسسة الأعلمي، بيروت ط ١٩٩٤
م.

قال رسول الله: يا عمر! وجبت.
قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما وجبت؟!
قال: وجبت له الجنة، وما خلعه من يده حتى خلعه الله من كل ذنب ومن كل خطيئة.
قال: فما خرج أحد من المسجد حتى نزل جبرئيل بقوله عز وجل: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين
يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) فأنشأ حسان بن ثابت يقول:
أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي * وكل بطئ في الهدى ومسارع
أيذهب مدحي والمحبين ضائعا؟! * وما المدح في ذات الإله بضائع
فأنت الذي أعطيت إذ أنت راكع * فدتك نفوس القوم يا خير راكع
بخاتمك الميمون يا خير سيد * ويا خير شار ثم يا خير بائع
فأنزل الله فيك خير ولاية * وبينها في محكمات الشرائع
ولفظ الولي في الآية دال على الإمامة لمن أنصف وترك التعصب، وتفسيرها بالمحب والناصر خلط للمتعلق بالمفهوم
، على أنه أول ما يتبادر للذهن معنى الولي بمعنى المتصرف، ولذا لا يشك أحد في أن قوله صلى الله عليه وآله
وسلم كما في مسند أحمد: أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل على أن المراد منه التصرف لا الحب
والنصرة..
والحاصل أن الروايات التي فسرت الآية لم ننفرد بها، وهو القدر المتيقن في المقام، فلا يصح ما قاله الدكتور
من أننا انفردنا بالروايات الدالة على إمامة علي عليه السلام، وسنشير إلى آيات أخرى من هذا القبيل عند البحث
في العصمة.

صلة ٣ – من السنة النبوية:
وهي كثيرة جدا، وإنما نكتفي بما يناسب البحث:
* حديث الدار في يوم الانذار:
وهو من الأحاديث التي لا شك في صحتها، وقد ذكرته كتب الفريقين في الصحاح وغيرها...
منها: ما أخرجه أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان عن البراء بن عازب قال: لما نزلت هذه الآية
: (وأنذر عشيرتك الأقربين) جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلا
... ثم أنذرهم رسول الله فقال: يا بني عبد المطلب! إني أنا النذير إليكم من الله عز وجل والبشير، فأسلموا
، وأطيعوني تهتدوا.
ثم قال: من يؤاخيني ويؤازرني، ويكون وليي ووصيي بعدي، وخليفتي في أهلي، يقضي ديني؟!
فسكت القوم، فأعادها ثلاثا، كل ذلك يسكت القوم ويقول علي: أنا.
فقال في المرة الثالثة: أنت.
فقام وهم يقولون لأبي طالب: أطع ابنك، فقد أمر عليك!
هذا، وقد أخرج الحديث بطرق متعددة، وفي صور مختلفة، منها ما ذكره أحمد بن حنبل في مسنده ١ / ١١١، وتاريخ
الطبري ٢ / ٦٢، والكامل في التاريخ ٢ / ٤٠، والنسائي في الخصائص: ١٨، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة
٣ / ٢٠٠، والسيوطي في جمع الجوامع ٦ / ٤٠٨، والحلبي

في سيرته ١ / ٣٠٤.
وفي الحديث دلالة واضحة على الوصاية والخلافة من بعده وإن عز على بعضهم الاقرار بها! كما فعل الطبري في
تفسيره ١٩ / ٧٤ عند قوله صلى الله عليه وآله وسلم: أيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي
فيكم؟ مستبدلا الكلمتين الأخيرتين ب كذا وكذا!!.
وهكذا فعل ابن كثير في تفسيره أيضا ٣ / ٣٥١!!
ولا أعتقد أن لهذا مبررا سوى إنه تحريف للكلم عن مواضعه.
* حديث المنزلة:
وهو حديث متواتر متفق على صدوره من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد رواه جمع المحدثين بما فيهم أصحاب
الصحاح، كالبخاري في صحيحه ٥ / ٢٤، ومسلم في صحيحه ٦ / ١٢٠ - ١٢١، والترمذي في جامع الصحيحين ١٣ / ١٧٥
، والنسائي في الخصائص: ١٤، وابن كثير في البداية والنهاية ٧ / ٣٤٠، وابن الأثير في أسد الغابة ٤ / ٢٦
، وأحمد بن حنبل في المسند ٢ / ٧٤.
ونص الحديث - كما في البخاري - أنه لما أراد الرسول الخروج إلى غزوة تبوك خرج الناس معه، فقال علي: أخرج
معك؟.
فقال صلى الله عليه وآله وسلم: لا.
فبكى علي، فقال له رسول الله: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي، إنه
لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي.

* حديث الغدير:
كأن الدكتور قد غاب عن ذهنه أن عمدة الأدلة عند الشيعة الدالة على النص هو حديث الغدير، الذي نص على ولاية
أمير المؤمنين عليه السلام، وقد تحقق عند الجميع بأنه قد روي، وثبت عند الفريقين.
وقد ورى ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢ / ٤٥، قال: أخبرنا... عن حذيفة بن أسيد، قال: لما قفل رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم عن حجة الوداع نهى الصحابة عن شجرات البطحاء متقاربات أن ينزلوا حولهن، ثم بعث
(١) إليهن فصلى تحتهن.
ثم قام فقال: أيها الناس! قد نبأني اللطيف الخبير، أنه لم يعمر نبي إلا مثل نصف عمر الذي يليه من قبله
، وإني لأظن أنه يوشك أن أدعى فأجيب...
ثم قال: أيها الناس! إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، وإني أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا
علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه.
ثم قال: أيها الناس! إني فرطكم وإنكم واردون علي الحوض... وإني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين، فانظروا
كيف تخلفوني فيهما! الثقل الأكبر: كتاب الله سبب طرفه بيد الله عز وجل، وطرف بأيديكم، فاستمسكوا به ولا
تضلوا ولا تبدلوا، والثقل الأصغر: عترتي أهل بيتي، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا
علي الحوض.

---

(١) وفي روايات أخرى: غدا أو عمد إليهن.

وقد ذكر الشيخ أبو طالب تجليل التبريزي في كتابه شبهات حول الشيعة (١) عددا من الأسانيد المنتهية إلى صحابة
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من كتب أهل السنة وصلت إلى ٢٤٥ طريقا ذكرت في: مسند أحمد بن حنبل ١ / ٨٤
و ٨٨ و ١١٨ و ١٥٢ و ٣٣١، و ج ٤ / ٢٨١ و ٣٧٠ و ٣٧٢، و ج ٥ / ٣٥٨ و ٣٦٦ و ٣٧٠، الخصائص - للنسائي -: ٤ و
٢١ و ٢٤ و ٢٦ و ٤٠، صحيح الترمذي ١٣ / ١٦٥، المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٠٩ و ١١٦، تفسير ابن كثير ٢ /
١٤، سنن ابن ماجة ١ / ٥٥ - ٥٨، تاريخ دمشق: ذكر في ما يقارب ٢٩ موضعا في الجزء الثاني منه، منها في ص
١٨ و ١٩ و ٢٨ و ٣٠ و ٥٣، تاريخ بغداد ٢ / ١٣ و ١٢ / ٣٤٣ و ١٤ / ٢٣٦، مجمع الزوائد، كفاية الطالب، الإصابة
، الكنى والأسماء، مناقب ابن المغازلي، أسد الغابة، المعجم الكبير، البداية والنهاية، ميزان الاعتدال، فرائد السمطين، الكنى للبخاري، الجرح والتعديل، وغيرها من المصادر التي يطول
البحث فيها ولا تدع مجالا للشك في صدور الحديث.
كما يمكن الرجوع إلى الجزء الأول من كتاب الغدير للعلامة الأميني، لتعرف أن النص لم ينفرد به الشيعة، بل
رواه ١٢ صحابيا، و ٨٤ تابعيا، و ٣٦٠ من أئمة الحديث وحفاظه.
نعم، يبقى النقاش في الدلالة، وهي واضحة لمن جرد ذاته عن العصبية، إذ لا معنى لأن يجمع رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم الناس قبل ارتحاله إلى العلي القدير بشهرين وعدة أيام ليحث الناس على نصرة علي دون استخلافه
، إذ إن نصرته تحصيل حاصل يعرفها جميع المسلمين آنذاك،

---

(١) شبهات حول الشيعة، الشيخ أبو طالب تجليل التبريزي - دار القرآن الكريم، إيران - قم ، ط ١٤١٧ ه.

فلا بد أن يكون المعنى هو تنصيب علي عليه السلام خليفة لا غير، وإلا فما معنى أن يعقد رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم مجالس تهنئة وتبريك، ويأمر أصحابه بالتهنئة لعلي عليه السلام ومنهم عمر بن الخطاب الذي هنأ
عليا بقوله: بخ بخ لك يا علي، أصبحت مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة وقد نقل العلامة الأميني في كتابه المذكور
لحديث التهنئة، ستين مصدرا من مصادر أهل السنة (١).

* حديث الثقلين:

وهو حديث مشهور متفق عليه بين المسلمين، وقد رواه من العامة الترمذي في جامع الصحيح ٥ / ٦٢١، الطبراني
في المعجم الكبير: ١٢٧ و ١٥٧، الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٠٩، الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ /
١٦٣، المتقي في كنز العمال ١ / ٣٤٠، ابن الأثير في جامع الأصول ١٠ / ٤٧٠، ابن كثير في تفسير القرآن العظيم
٥ / ٦٦٢، السيوطي في الدر المنثور ٢ / ٦٠، مسلم في الصحيح ٤ / ١٨٧٣، ابن كثير في البداية والنهاية ٧ /
٣٤٨، وغيرهم...

ولفظ الحديث - كما في كنز العمال - عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: إني تركت ما إن تمسكتم به لن
تضلوا بعدي: كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض
، فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

والمفهوم من الحديث أن ضلال الأمة وهديها مرهون باتباع تلك العترة الطاهرة والتمسك بها، لأنهم - أي أهل
البيت - يدورون مدار القرآن

---

(١) الغدير ١ / ٢٧٢ - ٢٨٣.

العزيز، وهذا دليل على أنهم العالمون بتأويله وتفسيره، وأنهم السبيل الوحيد للنجاة، فكيف لا يكون هذا
نصا على ولايتهم، وأنهم الأوصياء على الناس من بعده وإليهم يرجع في مختلف شؤون الحياة؟!
النقطة الثانية: في العصمة:
تميزت الإمامية الاثنا عشرية بالقول بوجوب عصمة الإمام دون الفرق الأخرى...
ولتوضيح هذه المسألة لا بد
من تناول نقاط عديدة:
أ – في معنى العصمة وحدها:
يقول الشيخ المفيد في كتابه النكت الاعتقادية: العصمة لطف يفعله الله تعالى بالمكلف بحيث يمتنع منه وقوع
المعصية وترك الطاعة مع قدرته عليها (١).
وبمعنى آخر فإن العصمة هي أعلى درجات التقوى والابتعاد عن الشهوات... فأين هو الغلو بهذا المعنى؟!
ب – في أدلة الشيعة على العصمة:
قال: وهم بدلا أن يقيسوا منصب الإمامة كما صنع أهل السنة على الولاية، قاسوا منصب الإمامة على النبوة والرسالة
، فجعلوا الأئمة معصومين كما أن الرسل معصومون، وجعلوهم المرجع للشريعة دون الأمة، وجعلوهم هم الحجة دون
الأمة.
نعم، نحن نقيس الإمامة بالنبوة والرسالة بخلاف أهل السنة الذين قاسوا هذا المنصب على الولاية والولاة كما
ذكر الدكتور، ولكن نقول له:

---

(١) سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد محمد بن محمد النعمان (٣٣٦ – ٤١٣ ه) – دار المفيد، بيروت ١٩٩٣: ٣٧ – تحقيق السيد محمد رضا الحسيني الجلالي.

إن هذا أمر منصوص عليه من الشارع، وبرهانه القرآن الكريم، وتحديدا في آيات هي دالة نقلا وعقلا على إمامة
الأئمة من جهة، وعصمتهم من جهة أخرى، منها:
١ - آية الطاعة:
وهي قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم...) (١).
وأما نقلا، فقد روى الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ١ / ١٤٩ أنها نزلت في علي بن أبي طالب، وكذا رواها
كل من أبي حيان الأندلسي في تفسير البحر المحيط ٣ / ٢٧٨، ومحمد صالح الترمذي في المناقب المرتضوية: ٥٦
، والقندوزي في ينابيع المودة: ١١٦، والآمرتسري في أرجح المطالب: ٨٥..
هذا من حيث المناسبة على أن أولي الأمر مقصود بها علي، فتكون طاعته واجبة كما هي طاعة الرسول صلى الله عليه
وآله وسلم.
وأما عقلا، فالآية تثبت العصمة لعلي عليه السلام خصوصا، ولأولي الأمر عموما، إذ إن الله قرن طاعة الرسول
بالطاعة لأولي الأمر، فلو قلنا بجواز أن يأمر الله بالطاعة لغير المعصوم، فإن لازمه جواز الأمر بالطاعة
لمن يمكن في حقه فعل المعصية، ويستحيل أن يأمر الله تعالى ويرخص في اتباع من يجوز في حقه العصيان، لأنه
قبيح بحكم العقل، كما هو الحال في حق النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الاتفاق على عصمته، حذرا من انقداح
الوثاقة في

---

(١) سورة النساء ٤: ٥٩.

نقله صلى الله عليه وآله وسلم للأحكام الإلهية فلو جاز الخطأ عليه لم يبق وثوق بما تعبدنا الله تعالى به
وما كلفناه، وذلك يناقض الغرض من التكليف وهو الانقياد إلى مراد الله تعالى (١).
من هنا لا بد أن تكون الطاعة المشار إليها في الآية مختصة بمن هو معصوم، إذ لولا عصمة أولي الأمر لما أمرنا
الله تعالى بطاعتهم، وللعلة ذاتها ولنفس الملاك الذي في الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من ضرورة العصمة
عقلا.
وهذا الإمام الرازي في تفسير الآية (٢) يذعن لتلك الحقيقة، ويصرح بدلالتها على العصمة.
٢ - آية التطهير:
وهي قوله تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) (٣).
وقد وصلت الروايات التي دلت على نزولها في حق أصحاب الكساء: رسول الله، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين
صلوات الله وسلامه عليهم، إلى حد التواتر، ومن علماء أهل السنة الذين رووا نزولها في حقهم عليهم السلام
الطبري في جامع البيان ٢٢ / ٦، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٣ / ٤٥٨، والبلاذري في أنساب الأشراف
٢ / ١٠٤، والسيوطي في الدر المنثور ٥ / ١٩٨، والحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ٢ / ٤١٦، وابن
عساكر في تاريخ دمشق ١ / ٢٥٠، وغيرهم... حتى وصلت

---

(١) كشف المراد - للعلامة الحلي -: ٣٩١.
(٢) التفسير الكبير - للفخر الرازي - ١ / ١٤٤.
(٣) سورة الأحزاب ٣٣: ٣٣

ما يقارب أربعين طريقا.
وأما الدلالة فواضحة: إذ إن المراد من الرجس في الآية: القذارة، التي هي أعم من المادية والمعنوية.
يقول ابن منظور في لسان العرب إن الرجس: القذر، وكل قذر رجس، وفي الحديث: أعوذ بك من الرجس النجس. وقد
يعبر به عن الحرام والفعل القبيح والعذاب واللعن والكفر (١).
وقال الزجاج: الرجس في اللغة كل ما استقذر من عمل (٢).
وقال ابن الكلبي: رجس من عمل الشيطان أي مأثم.
والملاحظ أن القرآن قد استعملها عشر مرات في الأمور المادية والمعنوية، فوصف بالرجس الذين لا يعقلون، في
قلوبهم مرض، لا يفقهون، لا يتوبون، لا يذكرون، كفروا، كذبوا، نافقوا.. إلى آخره، ولا شك أن المنفي
مطلق الرجس، وأن الآية دالة على عصمة أهل البيت بنفي مطلق الرجس عنهم واختصاصهم بها.
ولفظ الحديث عن واثلة بن الأصقع، قال: جئت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في منزل أم سلمة، قد
جاء الحسن فأجلسه على فخذه اليمنى وقبله، وجاء الحسين عليه السلام فأجلسه على فخذه اليسرى فقبله، ثم جاءت
فاطمة فأجلسها بين يديه، ثم دعا بعلي عليه السلام فجاء، فأردف عليهم خيبريا، كأني أنظر إليه، ثم قال
: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا).

---

(١) لسان العرب ٦ / ٩٤، مادة رجس.
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢ / ٢٠٣.

٣ – آية الإمامة:
وهي قوله تعالى: (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا
ينال عهدي الظالمين) (١).
ومن الواضح أن إبراهيم عليه السلام عندما سأل الإمامة لذريته أجابه عز وجل بأن هذا المقام لا يناله ظالم
، ولا شك أن من أذنب ذنبا في حياته ظالم في حق نفسه، وظالم لها وإن عاد عن ظلمه وارتفع العقاب عنه، والآية
مطلقة تشير إلى كل من ظلم نفسه سابقا وحالا فكيف لو كان الظلم هو الشرك فإنه ظلم عظيم بنص القرآن الكريم
؟!
والنتيجة: إن الإمامة لا تصلح إلا لمن خلت نفسه عن الذنب، وبمعنى آخر فإن شرط الإمامة العصمة، ومن دونها
لا تصح.
النقطة الثالثة: في مسائل متفرقة بين الإمامة والعصمة:
لقد تعرض لمسائل متعددة في قضية الإمامة لا بأس أن نشير إلى بعضها ونترك الأخرى إلى محلها، وهي كما يلي
:
أ – احتكار أو اصطفاء للإمامة؟!
قال: لكن المصريين تعاطفوا معهم... دون أن يتحول هذا التعاطف إلى الغلو الذي يجعلهم معصومين، أو الذي
يجعلهم يحتكرون الإمامة والخلافة والسلطة دون الأمة.

---

(١) سورة البقرة ٢: ١٢٤.

إن العصمة وانتخاب أفراد معينين من ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم للإمامة لا ينافي مصلحة الأمة، وليس
هذا احتكارا، وإلا لكان اختيار الله عز وجل لآدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين كذلك، وقد قال
الله تعالى: (إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع
عليم) (١).
وقال عز وجل: (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على
أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم) (٢).
وقال عز وجل: (ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب...) (٣).
لذا، نحن نسأل الدكتور هل إن القول بجعل النبوة والكتاب في خصوص ذرية إبراهيم ونوح احتكار لهما؟!
ولا أعتقد أن أحدا من المسلمين يتجرأ بنسبة ذلك إلى الله تعالى، والسبب جلي.
ب - بين النبوة والإمامة:
إن قلت: إن العصمة والإمامة لا يتعدى بهما إلى من هم دون مستوى النبوة.
نقول لك: إن علماء المسلمين ومحدثيهم اتفقوا على النصوص التي استدل بها الشيعة على إمامة الأئمة، والتي
لها دلالة قاطعة على أن الإمامة

---

(١) سورة آل عمران ٣: ٣٣.
(٢) سورة يونس ١٢: ٦.
(٣) سورة الحديد ٥٧: ٢٦.

هي امتداد للولاية التي كانت قبلهم، وليس الالتزام بهذا موجبا لمناقضة عقلية إذا أنيطت العصمة لهم على فرض
طاعتهم وولايتهم كما فرضت طاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وولايته على الناس.
فلا مانع عندئذ أن يخص الله بعض ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعلم الكتاب والعصمة لطفا منه كما جعلها
في ذرية إبراهيم دون النبوة، للاتفاق والإجماع على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو خاتم الأنبياء.
ومن هنا يعلم معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي
إذ إن الأصل يقتضي - بعد انتفاء النبوة بالتسالم والتصريح - بقاء علم الكتاب في ذرية إبراهيم، وبالتالي
في ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ لا تصريح على خلافه، بل إن الحديث المتقدم بالإضافة إلى بعض الروايات
التي تشير لهذا المعنى، والآيات الأخرى من قبيل (إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي
الظالمين) - وقد مر البحث في دلالتها
- يؤكد ما ندعيه.
* دفع توهم:
إن قيل: إن إبراهيم قد سألها لذريته ولم يجبه الله تعالى.
نقول: إن هذا صحيح بمعنى عدم شمولية الإمامية لجميع ذرية إبراهيم عليه السلام بل إنها مختصة ببعضهم دون
بعضهم الآخر، ويشهد بذلك بقاء النبوة في ذريته: إسماعيل، إسحاق، يعقوب عليهم السلام...
ج - بين الإمامة والأصول:
قال: إذن هم - شاءوا أم لم يشاءوا - صرحوا أو لم يصرحوا، فمن الناحية العلمية وطالما أنهم وضعوا الإمامة
أصلا من أصول العقائد فلا بد أن يكفروا خصومهم، وأنا رأيي أن هذا هو سر الانقسام الذي

نجده في الكتب العلمية التي تكون علماء الدين.
١ - نحن نسأل الدكتور عن شاءوا أم لم يشاءوا، صرحوا أو لم يصرحوا هل هي عبارة توحي بالحوار الفكري أم إنها
تعبر عن تطرف ما في الآراء؟!
٢ - يقول السيد محسن الخرازي في كتابه بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية: ثم إن الإمامة إذا
كانت أصلا من أصول الدين يلزم من فقدها اختلال الدين، ولكن مقتضى الأدلة التعبدية هو كفاية الشهادتين في
إجراء الأحكام الإسلامية في المجتمع الإسلامي في ظاهر الحال، فلا منافاة بينهما، فلا تغفل.
ولما ذكر يظهر وجه تسمية (الإمامة والعدل) بأصول المذهب، فإن معناه - بعد ما عرفت من كفاية الشهادتين
تعبدا في ترتب أحكام الإسلام - أن إنكارها يوجب الخروج عن مذهب الإمامية، لا عن إجراء الأحكام الإسلامية
(١).
ومن هنا يعلم أيضا أن إفراد العدل من الصفات - مع أنه يرجع إلى التوحيد الصفاتي - هو لأجل أن يكون مائزا
بين الأشاعرة الذين أنكروا التحسين والتقبيح العقليين، وبين الإمامية والمعتزلة الذين أثبتوهما، ولذا يقول
السيد محمد كاظم الطباطبائي في رسالته الفقهية العروة الوثقى: المراد بالكافر من كان منكرا للألوهية أو
التوحيد أو الرسالة [النبوة]، أو ضروريا من ضروريات الدين مع الالتفات إلى كونه ضروريا (٢) ولم يذكر

---

(١) بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية ٢ / ١٨.
(٢) العروة الوثقى - آية الله العظمى السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي، مؤسسة النشر الإسلامي، ط ١٤١٧
٥ - ١ / ١٤٣ - ١٤٤.

الإمامة.
نعم، زاد بعض الفقهاء المعاد لا غير، والعجيب في المسألة أن الدكتور لم يقل بضرورة تكفير المعتزلة للأشاعرة
لأنهم وضعوا العدل في أصول الدين والاعتقاد!!
د – حلول فاشلة:
قال في حل مشكلة إقحام الإمامة في الأصول الاعتقادية: إذا شئنا حلا لهذه المشكلة فعلى الاثني عشرية أن يصنعوا
ما صنع الزيدية... الزيدية شيعة لكنهم لم يجعلوا الإمامة أصلا من أصول الإعتقاد.
وكان قد قال: الزيديين لا يكادون يختلفون عن الفكر السني، وهم في الأصول قريبون من المعتزلة.
أيها الدكتور! القول بأن الإمامة أصل من أصول الإعتقاد ليس اعتباطا منا، وإنما تشهد بذلك النصوص وتؤيده
الآيات الداعمة وحكم العقل بضرورة نصب الإمام.
لذا، عليكم – أولا – أن تبرهنوا بالأدلة أن الإمامة ليست أمرا سماويا، ومن ثم تطلب منا نزع هذا الإعتقاد
لو تمت، وإلا فهو اجتهاد مقابل النص الصريح عندنا، ولا نقبل به، ومثاله فيما لو توقف إسلام عدد من الناس
على حلية الخمر، والخمر منهي عنه، فلا يمكن الحكم بحليته، لأنه تصرف مخالف للأمر المولوي وإن كان عاملا
مساعدا في نشر الإسلام، ومع ذلك فقد حللنا مشكلتكم في ما سبق، فلا داعي لمثل تلك الحلول.
ه – مغلطة دكتور:
قال: إن أصول الإسلام ليست خمسة [عند الشيعة]، إنما هي ستة، والسادس هو الولاية، وجعلوا هذا الأصل
(الإمامة) أهم أصل من

أصول....
لا أدري من أين حصل الدكتور على هذه المعلومات! ولكن أصول العقائد عند الشيعة خمسة ولا سادس لها.
خلاصة الكلام حول الإمامة: والحق أن الإمامة لا شك في أنها من الأمور التي يتوقف عليها إكمال الإيمان،
وكما بينا فإن لنا عليها الأدلة العقلية والنقلية. في الحديث: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية
(١) دلالة واضحة وغنى وكفاية على مدعانا، مضافا إلى أن بعض علماء أهل السنة كالقاضي البيضاوي يقول بأن
الإمامة من الأصول، وبعضهم الآخر كالتفتازاني لا يجزم بكونها من الفروع وإنما يقول: هي بالفروع أليق (
٢)، فلا يصح ما قاله بأن أهل السنة جميعا متفقون على أن الإمامة والسياسة ليستا من أمهات العقائد، وليستا من أصول العقائد.
قضايا أخرى
لا بأس أولا، وقبل الخوض في تلك القضايا الأخرى التي بحثها الدكتور، أن نتعرض لمسألة تناولها الدكتور بشئ
من المغالطة عندما قال: تكتب إحدى المجلات، مجلة (تراثنا) التي تصدر في قم ب (إيران) سلسلة مقالات
عن أعداء السنة النبوية، فيكون أول مقال عن العدو الأكبر أبي بكر، والمقال الثاني عن العدو الثاني عمر
...
وفيه:

---

(١) حديث مستفيض روته كتب الفريقين تمر عليك بعض مصادره.
(٢) شرح المقاصد: ٢٣٢.

أولا: إنه ليس في المجلة مثل هذا الكلام، ولا أن فيها مقالا عن العدو الأكبر أبي بكر ولا عن العدو الثاني
عمر وإنما هي ادعاءات لا أساس لها، وعناوين لم ترد مطلقا في المجلة وليراجع عددها الأول [٢٢] السنة السادسة
/ ١٤١١ ه.
ثانيا: غاية ما هناك أن الباحث ذكر فيها بالأدلة والشواهد المتقنة من المصادر السنية أنهما كانا يمنعان
من نشر السنة النبوية بواسطة الصحابة وكذا من تدوينها، حتى أن الأول قد أحرق قسما مكتوبا منها، واشترك
مع الثاني بمنع الصحابة الرواة للسنة من الخروج من المدينة المنورة والالتقاء بسائر المسلمين..
هذا هو الذي قاله الباحث، فإن كان استنتاجكم أن ذلك عداء للسنة النبوية فما ذنبه؟! وما ذنب أصحاب المجلة
؟!
كما أنه لا بأس الإشارة هنا إلى أن منهج المجلة في دراساتها بعيد كل البعد عن النعرات الطائفية والبلبلة
المذهبية، وهدفها حفظ التراث الإسلامي، والعمل على توحيد كلمة المسلمين تحت راية واحدة، ومن جال بنظره
على أعدادها الصادرة حتى الآن وراقبها عن كثب، يدرك تلك الحقيقة الجلية، وأن أبحاثها إنما تتميز بالدقة
في التحليل والموضوعية في العرض للأفكار والمعلومات المستندة إلى مصادر يمكن الرجوع إليها لكل من أراد الوقوف
عليها.
بعدها نعود إلى صدر البحث شاكرين أولا اعتبار الشيعة كجزء من الأمة الإسلامية وهذا منه تكرم وتفضل عليهم
!
ثانيا: مستغربين قضية التكفير تلك التي طرحها مشعرا بأن الشيعة إنما يقولون بتكفير الصحابة، ولذا فإننا
سنفرد لذلك بحثا خاصا في هذه القضية.

قضية الصحابة:
قال خلال حواره في قضية الإمامة: وتعصب الشيعة لأئمتهم جعلهم يشقون صف الأمة، ويبدأون رفض الصحابة باستثناء
ثلاثة أو أربعة من الذين أيدوا الإمام علي: المقداد وسلمان وأبو ذر.
أولا: مصادرة واضحة:
أ – على أي أساس يقال: إن تعلق الشيعة بأئمتهم يشق صف الأمة؟!
ألا يمكن أن يقال: إن تعصب أهل السنة للصحابة يشق صف الأمة أيضا!
إن في كلام الدكتور مصادرة واضحة، لا بل إن مثل هذه الاتهامات هي التي تشق وحدة المسلمين وتبعدهم عن العقلانية
والمنطق في التحاور.
لذا، كان الأجدر به أن يحاور وفق أسس بناءة، لأن ما يراه الشيعة في الأئمة ليس تعصبا بقدر ما هو التزام
بالشريعة واحتكام للمنطق والعقل.
لا بل إن الشيعة حافظوا على عرى الوحدة ومنعوا من انفصامها، وليس عليه إلا أن يراجع التاريخ ليعرف كيف أن
مؤيدي أمير المؤمنين عليه السلام من الصحابة وغيرهم إنما منعوا من المواجهة حقنا لدماء المسلمين وحفظا للإسلام
.
ثانيا: بين العدالة والتكفير:
نعود إلى مشكلة لا زال الدكتور يؤكد عليها في أبحاثه وآرائه التي تدخل في إطار زج الإسلام والمسلمين في أغوار
لا يعلم عقباها إلا الله تعالى!
ونقول: أيها الدكتور! إن الشيعة عندما ترفض القول بعدالة بعض

الصحابة لا جميعهم، إنما لأجل فسقهم ولخلل في الإيمان، والشواهد القرآنية والتاريخية دالة على ما نقول
، منها:
١ – إجماع المفسرين على أن آية (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) (١) نزلت في الوليد
بن عقبة، وهو من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هذا خلال حياته صلى الله عليه وآله وسلم (٢
).
٢ – وأما بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم فقد روى أصحاب التواريخ أن الوليد بن عقبة شرب الخمر أيام ولايته
وصلى الفجر أربع ركعات! (٣)
٣ – طليحة بن خويلد ارتد عن الإسلام وادعى النبوة، وكذلك مسيلمة والعنسي، وهما أشهر من أن يعرفا.
إلى عديد من الشواهد الأخرى من الآيات والأحاديث الدالة على مدعانا، وهي أن الخروج عن العدالة حقيقة لا
ريب فيها، فأما القول باستثناء ثلاثة أو أربعة فهو مستند إلى ما جاءت به الروايات والآثار المذكورة بتراجمهم
من كتب معرفة الصحابة وغيرها، من كونهم من أهل الجنة وأنها تشتاق إليهم، ومن حب النبي وأهل بيته لهم،
ولا شك في أن لهؤلاء مواقف مشكورة في سبيل حفظ الدين وجهود رسول رب العالمين (٤).

---

(١) سورة الحجرات ٤٩: ٦.
(٢) راجع تفسير ابن كثير ٣ / ٤٠٢، تفسير الطبري ٢ / ٦٢.
(٣) راجع الكامل في التاريخ – لابن الأثير – ٢ / ٥٢، أسد الغابة ٥ / ٩١.
(٤) وللشيخ جعفر السبحاني في كتابه: الملل والنحل – مؤسسة النشر الإسلامي – ١ / ٢٠١، بحث مهم في عدالة
الصحابة، وكذا للسيد علي الحسيني الميلاني في كتابه: الإمامة في أهم الكتب الإمامية – نشر الشريف الرضي
، قم –.
وانظر فصل: مشهوران لا أصل لهما للسيد علي الحسيني الميلاني في مقالة التحقيق في نفي التحريف، المنشور
في تراثنا، العدد ١٤ لسنة ١٤٠٩ ه.

صلة ثالثا: شاهد على الصحابة:
ما نقله الدكتور في حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع عمر بقوله: المنافقون في عهد رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم ارتدوا على الإسلام وكانوا كفرة، والنفاق أشد من الكفر، ومع ذلك كانوا جزءا من الأمة
، ولما كانت تظهر على أحدهم أمارات وعلامات النفاق ويأتي عمر بن الخطاب ويقول: يا رسول الله! دعني أضرب
عنق هذا المنافق، يقول له: كلا! حتى لا يقال إن محمدا يقتل أصحابه.
وفيه:
١ - إن الحديث من حيث الدلالة يعني أن الصحابة ليسوا جميعا عدولا، وبالتالي ما المانع من رفض بعضهم حتى
يؤاخذه علينا؟!
٢ - إن كان المراد منه عدم التعرض للصحابة وإن كانوا منافقين حفاظا على الوحدة، فيكون الخليفة الثاني نفسه
قد غفل عنها بعض الشئ، لأنهم ذكروا أنه أقام الحد على قدامة بن مظعون، وهو صحابي بدري، يعد من السابقين
الأولين، ومن المهاجرين الهجرتين، لشربه الخمر (١)! وبالتالي يكون قد خالف حكم الرسول صلى الله عليه
وآله وسلم وهذا لا يقول به أهل السنة.
نعم، الطريق الصحيح لتقويم مسار التحقيق هو الحوار البناء والعلمي الدقيق، الذي ينظر للآخرين نظرة احترام
لأفكارهم ومعتقداتهم، وبعدها يناقش صحة ما ندعيه، ونناقش صحة ما يدعيه، وليكن حوارا تسود فيه أجواء المحبة
والإخلاص للأمة، لا طرح ادعاءات معينة دون براهين وإثباتات تذكر!

---
(١) راجع أسد الغابة ٤ / ١٩٩.

رابعا: سلامة الموقف الشيعي:
إن سمة التشيع: النظر للأمور بواقعية تامة، والحكم في إطار العدل والمساواة بناء على الأدلة والشواهد.
ومن هنا، فإن الشيعة إنما ينظرون إلى الصحابة نظرة علمية منطقية..
وهذه الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام يدعو فيها للصحابة فيقول:
اللهم وأصحاب محمد خاصة الذين أحسنوا الصحبة، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره... فلا تنس اللهم ما
تركوا لك وفيك، وارضهم من رضوانك، وبما حاشوا الخلق عليك، وكانوا مع رسولك دعاة لك... (١). يقول
السيد مهدي الحسيني الروحاني في كتابه بحوث مع أهل السنة والسلفية:... وغير خفي: أن هذه الدعوات بما
فيها من الإعظام والإكبار، شاملة لمعظم الصحابة رضي الله عنهم، وأما آحادهم تفصيلا فينظر في تراجمهم وتواريخهم
ويحاكمون بمقتضى العدل، والقول الفصل، وحكم القرآن، وكلام نبي الإسلام...
وعليه فمن ناقش في علم بعض
آحاد الصحابة، أو خطأهم في بعض أفعالهم وأقوالهم، حسب ما تقتضيه المقاييس الدينية، فإن ذلك لا يخرجه من
الإيمان إلى الكفر، ولا من السنة إلى البدعة،
إذ ليس آحاد الصحابة وأشخاصهم محور الدين، والكفر، والسنة والبدعة (٢).

---

(١) الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام: من دعائه عليه السلام في الصلاة على أتباع الرسل ومصدقيهم.
(٢) بحوث مع أهل السنة والسلفية - للسيد مهدي الحسيني الروحاني، المكتبة الإسلامية، ط ١٩٧٩ -: ٣٦ - ٣٧.

خامسا: بين العدالة والعصمة:
ولا ينقضي العجب من الدكتور وغيره الذين يصفون الشيعة بالغلو لأنهم قالوا بعصمة الأئمة الاثني عشر من جهة
، ويرون أن كل الصحابة عدول من جهة أخرى!!
والعدالة – كما يقال – بأنها ملكة اكتسابية تمنع الصحابي عن الوقوع في الخطأ، وأما العصمة – كما عرفت –
فإنها ملكة نفسانية أو لطف إلهي تمنع المعصوم عن الخطأ.
وبالنظر إلى حقيقة العدالة والعصمة نعرف أن الفرق إنما يكمن لا في النتيجة، بل في الطريقة...
ومعه، فلو صح أن يكون اعتقاد الشيعة بعصمة الأئمة الاثني عشر غلوا لكان الإعتقاد بعدالة جميع الصحابة أشد
غلوا منهم!
قضية التشيع والوحدة:
قال: يقلقني أن يأتي الشيعة ليبشرونا بمذهبهم ويزرعونه في قلب المجتمعات السنية، بنفس القدر الذي يقلقني
أن يأتي نفر من أهل السنة ليزرع مذهب أهل السنة في المجتمعات الشيعية... فإنما يأتي الشيعة يزرعون مذهب
(الإمامة والتشيع) داخل مجتمعات سنية أنعم الله عليها بالوحدة المذهبية، فهم يخلخلون وحدة المذهب، ويصنعون
القلق الطائفي داخل مجتمعات برئت من هذه الخلخلة المذهبية والطائفية.
وفيه:

أولا: إن هذا إقفال لباب الحوار، وقطع للطريق أمامه، لأن المقتضي له طرح المشاكل العالقة بين الفريقين
لتحل حلا جذريا يتفق عليه الطرفان، ولا يتناقض هذا والحوار مع غير المسلمين، فكيف إذا كان فيما بينهم؟
!
ثانيا: إن المانع وهو الخلخلة في المجتمعات الإسلامية – إذا صح – أمر مطرد في غيرها، ولكن الصحيح أن الحوار
البناء المبني على قواعد سليمة وأسس متينة لا يولد مثل هذه الخلخلة كما قد يدعى، وإنما انسجام ووحدة في
الحقيقة إذا ما خلص لنتيجة معينة، وطبعا بشرط أن لا تسود هذه المجتمعات مثل تلك الحوارات التي تولد تعصبا
في التفكير، وتطرح المغالطات، لأنها هي التي تصنع القلق الطائفي.
ثالثا: نحن نسأل الدكتور لماذا الخوف من تشيع بعضهم إذا كان ذلك مقنعا لهم وثبت بالبراهين والأدلة الشرعية
والعقلية، التي عبر عنها هو بأنها ممارسات رعناء هدفها خداع الشباب، طالما أنهم بقوا في حومة المسلمين
، وأن وحدة الأمة كما قال: تسع المذاهب والتيارات المختلفة وتسع (الألسنة – اللغات) والأقاليم المختلفة
، بما في ذلك أن تكون هناك ملل ونحل مختلفة في داخل الأمة؟!
وهل التشيع إلا مذهب من تلك المذاهب المختلفة؟! أم إن هذا باعتقاده خروجا عنهم؟!!
كما إنه يجب ألا يقلقه أن يأتي أهل السنة ليبشرونا! لأننا – أولا – لسنا معقدين من فتح باب الحوار عن العقيدة
، لا بل نطلبه.
وثانيا: لأنا نعلم أن ثقافتنا الشيعية تمتلك المؤهلات الكافية للثبات ومواجهة الأفكار الأخرى، لأن ركيزتها
ليست مبنية على التعصب الفكري، بل على القواعد العلمية والفكرية الدقيقة.

ولعمري إن هذا الكلام الصادر من الدكتور أدل دليل على قوة الفكر الشيعي. وأما التعدد الطائفي فهو ليس خللا
– كما يتصور – بل عنصر من عناصر الحيوية في المجتمعات، لأنها تحرك باتجاه بناء عقائد صحيحة من خلال التعرف
على عقائد الآخرين ودفع شبهاتهم، وليست تلك نظرة قصيرة المدى – كما عبر هو – إذا ما تم تصحيح الإعتقادات
، لعدم الخفاء بأن هذا أهم ما في الإسلام، وهو أن يكون المسلم على بينة منها، لا بل إن التقوقع في قالب
معين من الإعتقادات دون النظر إلى صحتها وسقمها، هي نظرة قصيرة المدى، لأنها لا تنظر إلى الآخرة بعين الحقيقة
، ولا
أعتقد أن هنالك هدف أسمى من الآخرة للوصول إلى شاطئ النعيم، ولذا قال تعالى: (ولتنظر نفس ما قدمت لغد
) (١) والآية مطلقة، والعجب أن الدكتور اعتبره خداعا!!
* ملاحظة: قال: وفي المقاومة الشعبية لظلم الحكام الفاطميين تدهش عندما تعلم أن المظاهرات كانت تهتف لتغيير
الحاكم الفاطمي.
وهذه دعوى لم يقم الدكتور عليها دليلا! بل إن الدليل على خلافه كما يظهر من نصوص تلك الأيام وفي تلك الحقبة
، والتي تشير إلى أن أهل السنة كانوا في تقية، خلال ذلك العهد!
قضية الثورية في الفكر الشيعي:
قال: يزعمون – خاصة بعد الثورة الإيرانية – أن الفكر الشيعي فكر

---

(١) سورة الحشر ٥٩: ١٨.

ثوري، وأنه تصدى لنظم الجور والطغيان على مر التاريخ، وأقول: إن هذا وهم، وهذه أكذوبة، الشيعة منذ جعفر
الصادق امتنعوا عن الثورة وعن العمل السياسي، وعن الدخول في كل قضايا السياسة ورضوا بكل النظم الحاكمة بصرف
النظر عن جورها وعن عدلها، والذي كان يعارض ويناقش و.. و.. إلخ كان من علماء السنة.. إذن الفكر الذي
كان يقوم بالثورات – دعنا من الخوارج – وكان له دور في المعارضة والانتقاد والسياسة والعمل السياسي كان هو
الفكر السني... إلى أن جاءت سنة ١٩٢٠. وأول فتوى
تصدر عن الشيعة بالعمل السياسي... إذن على طوال تاريخنا كان الفكر الشيعي وبالذات فكر الاثني عشرية بعيدا
عن الاشتغال بالسياسة... فأين هي الثورية التي يخدعون بها بعض الشباب كي يرجحوا كفة المذهب الشيعي على
المذهب السني؟.

أقول: نحن نجيبك يا دكتور على سؤالك المطروح أخيرا في نقاط:

الأولى: ثورية الفكر الشيعي:

إن كون الفكر الشيعي فكرا ثوريا أمر لا يجادل فيه اثنان، وليست تلك أكذوبة أو وهم كما تدعي، لا بل إن روح
التشيع هي الثورية والتصدي لنظم الجور والطغيان عبر التاريخ، ولذا قلت أنت يا دكتور! إن المصريين تعاطفوا
معهم لأنهم اضطهدوا!

أوليس ذلك سببه الرفض لتلك الأنظمة الجائرة والعمل على إسقاطها أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر؟

وقد صرحت أيضا في حوارك المتقدم أنه كان الشيعة الفاطميون يحزنون في عاشوراء. وبالتالي نحن نسألك أيها الدكتور، أليست عاشوراء هي ثورة الإمام

أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام؟! أم إنك نسيت ذلك؟! وكأنك تعلم بأن الشيعة إنما يجددون كل
سنة تلك الثورة من خلال إقامة المجالس والتذكير بمظلومية هذا الإمام العظيم ووقوفه أمام الجور والطغيان ويرددون
كل سنة قوله: إني ما خرجت أشرا ولا بطرا، إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله حتى قيل عندنا:
إن الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء.
وهذا إنما يعني أن التشيع روحه ثورة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام وبقاءه مرهون ببقائها في الأذهان
، وكفانا أن نعيد تلك الذكرى كل سنة عشرة أيام حتى تتجدد في نفوسنا عزيمة الثورة لمقاومة أنظمة الاستكبار
والجور والطغيان ولو تطلب ذلك الاستشهاد في سبيل الله، ومن هنا تفهم عبارة الإمام الخميني قدس سره: إن
كل ما لدينا هو من بركة كربلاء أبي عبد الله الحسين عليه السلام.
ونظرة واحدة في تراجم أئمتهم، وحركات رجالاتهم، وانتفاضات الشيعة، تكفي للبرهنة على ثورية الفكر الشيعي
، ولعل هذا من الأمور الواضحة للمسلمين التي لا يشكك فيها إلا...
الثانية: رجالات الشيعة والسياسة:
إنا لا نعلم من أين للدكتور تلك الدعوى من أن الشيعة لم يشتغلوا بالسياسة منذ عصر الإمام جعفر الصادق عليه
السلام حتى عام ١٩٢٠ م؟!
إن هذا لدليل واضح على عدم إحاطته بالتاريخ الشيعي على الأقل، وإلا لعلم أن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام
قضى أيام حياته الأخيرة في سجن بغداد واستشهد مسموما.
وأن ولاية العهد التي أوصى بها المأمون للإمام الرضا عليه السلام أشهر من

أن تذكر واستشهد مسموما أيضا.
وأن المعتصم خاف من اجتماع الناس حول الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام، فاستقدمه إلى بغداد ودس إليه
السم فاستشهد.
وأن الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام وضعا تحت الإقامة الجبرية، وجعلوا عليهم جواسيس يراقبون منزلهما
.
وأنه بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام بعث إلى داره من يفتشها ويفتش حجرها وختم على جميع ما فيها (١
).
إضافة لما حصل للإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف وهو بحث خلافي يترك إلى محله... وكله قبل الغيبة!
أما بعد الغيبة، فلقد كان للشيعة دور كبير في السياسة خفي على الدكتور ظاهرا، ولو ذكرنا الشهيد الأول محمد
بن جمال الدين مكي العاملي، والشهيد الثاني زين الدين الجبعي العاملي لكفانا افتخارا بما قدمنا، لا من
الشهداء فحسب، بل من الشهداء العلماء الذين خافت السلطة منهم، فكان جزاء الأول القتل والصلب والرجم والحرق
! وكان جزاء الثاني أن بعث رأسه إلى السلطان حفاظا على الخلافة من الضياع إذا استمر أمثال هؤلاء في جهادهم
ضد الباطل، وإفتاء الناس بما لا يوافق السلطات
الحاكمة آنذاك!
ولو أردنا أن نعد من الشيعة من اشتغل بالسياسة لاحتجنا أن نفرد كتابا خاصا فيهم، ولكن نذكر منهم من بعد
الغيبة وقبل ١٩٢٠ م، على سبيل المثال:

---

(١) يمكن مراجعة مصادرنا في هذا الخصوص.

١ – أبو الفضل محمد بن الحسين بن العيد، وزير ركن الدولة، والد عضد الدولة.
٢ – أحمد بن إبراهيم الضبي، وزير فخر الدولة.
٣ – عميد الجيوش، أبو علي الحسن بن أستاد هرمز، وزير بهاء الدولة.
٤ – أبو القاسم الحسين بن علي، الوزير المغربي.
٥ – الخواجة نظام الملك الطوسي.
٦ – الحسن بن هارون، وزير معز الدولة.
٧ – الصاحب بن عباد، وزير مؤيد الدولة وفخر الدولة..
وقد عد منهم صاحب (الأعيان) ما جاوز الأربعين شخصا ممن كانت لهم المناصب الرفيعة من وزارة أو إمارة ناهيك
عن القضاة والنقباء (١).
وبهذا يتبين فساد الدعوى التي تقول بأن الشيعة لم يشتغلوا بالسياسة حتى عام ١٩٢٠.
الثالثة: الفكر السني المهادن:
ولا يخفى عزيزي القارئ أن من مذهب أهل السنة البخوع والخضوع للسلطة وللنظام القائم حتى لو كان على رأسه فاجر
فاسق! ونكتفي بذكر أقوال بعض أئمة علماء أهل السنة:
أ – قال النووي في شرح صحيح مسلم: وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين
...
وقال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين: لا

---

(١) راجع أعيان الشيعة ١: ١٩٠ – ١٩٣.

ينعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق، ولا يخلع، ولا يجوز الخروج عليه بذلك (١)!!
ب – قال الإمام الأشعري: ويرون (أهل الحديث والسنة) العيد والجمعة والجماعة خلف كل بر وفاجر... ويرون
الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، وأن لا يخرجوا عليهم بالسيف وأن لا يقاتلوا في الفتن (٢).
ج – قال أحمد بن حنبل: السمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين، البر والفاجر... وإقامة الحدود إلى الأئمة
، وليس لأحد أن يطعن عليهم وينازعهم، ودفع الصدقات إليهم جائز، من دفعها إليهم أجزأت عنهم، برا كان أو
فاجرا، وصلاة الجمعة خلفه وخلف كل ولي، جائزة إقامته، ومن أعادها فهو مبتدع، تارك للآثار، مخالف للسنة
(٣)!!
د – قال الإمام أبو اليسر البزودي: الإمام إذا جار أو فسق لا ينعزل عند أصحاب أبي حنيفة بأجمعهم وهو المذهب
المرضي!!
ثم قال: وجه قول عامة أهل السنة والجماعة إجماع الأمة، فإنهم رأوا الفساق أئمة، فإن أكثر الصحابة كانوا
يرون بني أمية وهم بنو مروان حتى كانوا يصلون الجمعة والجماعة خلفهم ويرون قضاياهم نافذة. وكذا الصحابة
والتابعون، وكذا من بعدهم يرون خلافة بني عباس وأكثرهم فساق (٤)!!
كما لا يخفى أيضا أن الصحاح قد نقلت روايات وأحاديث – نراها

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٢ / ٢٢٩، باب لزوم طاعة الأمراء.
(٢) مقالات الإسلاميين: ٣٢٣.
(٣) مقالات الإسلاميين: ٣٢٣.
(٤) أصول الدين – للإمام البزودي، ط القاهرة –: ١٩٠ – ١٩٢.

مفتعلة على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنها مخالفة لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله
وسلم -.
فقد روى مسلم، عن حذيفة بن اليمان، قلت: يا رسول الله... إلى أن قال: قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم رجال، قلوبهم قلوب الشياطين في
جثمان إنس.
قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟
قال: تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فاسمع وأطع (١)!!
هذا غيض من فيض ما جاءت به كتب أهل السنة... فاقض ما أنت قاض.
قضية الاجتهاد:
قال: ثم قضية أن المذهب الشيعي فيه باب الاجتهاد مفتوح على عكس مذهب السنة،
أقول: إن هذا وهم واسمح لي
أن أكون صريحا في هذا الموضوع، فنحن نتكلم كعلماء، الفكر الشيعي صحيح لم يقل بإغلاق باب الاجتهاد.. لكن
أين هو الاجتهاد؟
إذا كنت أمام عقل يقول: إن الإمام قد غاب، وإنه حي، وإنه ما زال منتظرا وإننا ننتظره، فأين هو العقل
والعقلانية، وأين هو الاجتهاد؟
إذا كنت تقول: إن الأمة غير مؤتمنة على الشريعة، وإن فردا هو المؤتمن على الشريعة، وإن الإمامة والدولة
والخلافة والسياسة لا علاقة للأمة بها، ولا علاقة للشورى بها، وإن الأمة في هذا كله منزوع سلطانها،

---

(١) صحيح مسلم ٦ / ٢٠ - ٢١، باب الأمر بلزوم الجماعة، وباب حكم من فارق أمر المسلمين.

فأين هو الاجتهاد، وأين هي العقلانية في هذا الموضوع؟!
أقول: الاجتهاد عند فقهاء الشيعة وقف عند أن هناك مرجعا له كتاب فقهي وله مقلدون، وهل الاجتهاد في فروع
الفقه هو الاجتهاد؟
أقول بصراحة: إنها أكثر من اللازم. يعني اجتهادات لدرجة التخيل في فروع الفقه، إنما القضية التي فيها
الاجتهاد هي الاجتهاد في المعاملات وفي الأمور العامة وفي شؤون الدولة.
هذا هو الذي تعطل فيه الاجتهاد، والشيعة ليس لهم في هذا الميدان اجتهاد... إذن في الميدان الذي أغلق
فيه باب الاجتهاد عند السنة، الشيعة صفر في هذا الميدان، لأنهم يعلقون الفكر فيه على الإمام الغائب.
أما في فروع الفقه فأين هي الاجتهادات المتميزة في المذهب الجعفري التي ليس لها نظائر في مذاهب السنة الأربعة
؟.
أولا: الإمام المهدي بين الإعتقاد والاجتهاد:
إن عدم تحري الدقة سمة هذا الحوار مع الدكتور، وبيانه في هذه القضية يقع في نقطتين:
أ – في دفع شبهة:
إذ إن الإعتقاد بغيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ليس اجتهادا، لأن الاجتهاد: هو النظر في الأدلة
الشرعية، لتحصيل معرفة الأحكام الفرعية التي جاء بها سيد المرسلين (١) والأمور الاعتقادية ليست من الأحكام
الفرعية كما لا يخفى!
بالإضافة إلى أن الإعتقاد بالغيبة أمر متسالم به عندنا، فلا يحتاج للنظر

---

(١) عقائد الإمامية – للشيخ محمد رضا المظفر، نشر أشكوري، ط ١٤٣١ ه –: ٥٦.

إلا في إطار وجوب معرفة إمام زماننا، لأنه من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية وهو حديث مستفيض
ذكر بألفاظ مختلفة (١).
ب - الإعتقاد بالإمام المهدي في الإمكان العقلي:
أعتقد أن العقل الذي قبل غيبة الإمام المهدي وأنه حي، هو نفس العقل الذي لم يستبعد قوله تعالى: (ولقد
أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما) (٢).
وقوله عز وجل: (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن
الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا * بل رفعه الله إليه وكان
الله عزيزا حكيما) (٣).
وقد أخرج البخاري ومسلم، عن أبي هريرة، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كيف أنتم إذا نزل
ابن مريم فيكم وإمامكم منكم (٤).
وفي صحيح مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله قال: لا تزال طائفة من
أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقول أميرهم: تعال
صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة لهذه الأمة (٥)...
وبهذا يظهر أن الذي حفظ نوحا ٩٥٠ سنة للتبليغ في قومه، وحفظ

---

(١) راجع صحيح البخاري ٥ / ١٣، صحيح مسلم ٦ / ١٢ - ٢٢ ح ١٨٩٤.
(٢) سورة العنكبوت ٢٩: ١٤.
(٣) سورة النساء ٤: ١٥٧ - ١٥٨.
(٤) راجع صحيح البخاري ٤ / ٢٠٥، صحيح مسلم ١ / ١٣٦.
(٥) صحيح مسلم ١ / ١٣٦ ح ٢٤٤.

عيسى إلى آخر الزمان، ألا يستطيع أن يحفظ الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف؟!
أو إن العقلانية ترفض تلك الآيات والأحاديث أيضا؟!!
بالإضافة إلى أن العقل لا يرفض قدرة الله عز وجل بالتحكم في عمر الإنسان بأن يطيله أو يقصره وفقا للمصلحة
المقتضية له، إذ إنه ليس في دائرة المستحيلات العقلية، لا بل إنها من الأمور الملموسة في حياتنا العملية
ك (شعر الحاجبين).
ثانيا: الاجتهاد الشيعي:
ونتناول في المقام مسألتين:
أ – اجتهاد الشيعة في المعاملات:
ولا ينقضي العجب من قول الدكتور أن الشيعة صفر في هذا الميدان [الاجتهاد في المعاملات] لأنهم يعلقون الفكر
فيه على الإمام الغائب!
إذ إن ما كتبه الشيعة في هذا الميدان أكثر من أن يعد أو يحصى، لا بل إنك لا تجد كتابا فقهيا إلا وهو على
قسمين كتاب العبادات وكتاب المعاملات.
وفي الأخير يبحث الفقهاء عن: التجارة، الشفعة، الإجارة، المزارعة والمساقاة، السبق والرماية، الشركة
، المضاربة، الوديعة، العارية، اللقطة، الغصب، إحياء الموات، الدين، الرهن، الحجر، الضمان، الصلح
، الاقرار، الوكالة، الهبة، الوصية، الوقف، النكاح، الطلاق، الظهار، الحدود، القصاص، الإيلاء،
اللعان، الإيمان، الصيد والذباحة، الأطعمة والأشربة، الميراث، والقضاء.

بالإضافة إلى المسائل المستحدثة، التي بحثها الفقهاء المعاصرون من قبيل: أحكام البنوك، أطفال الأنابيب
، الخلو، ويانصيب الحظ، والتأمين، وغيرها.
وهل الدولة قائمة إلا على هذه الشؤون من المعاملات؟!
وأما إذا كان مراد الدكتور الشؤون العسكرية، فقد عقد الفقهاء بحثا خاصا لها يسمى ب كتاب الجهاد تناولوا
فيه الأحكام الأولية له، وأما الأحكام الاستثنائية والطارئة فإنما تعهد إلى ولي الأمر العادل الذي تتوفر
فيه الشروط المعينة، من قبيل: الاجتهاد، ومعرفة أحوال أهل زمانه، وغيرها...
ولكن يبقى أن نسأل الدكتور أين تعطل الاجتهاد عند الشيعة؟!!
ب - الاجتهاد والإمامة:
أولا: نقول: بأن الإمامة ليست اجتهادا عندنا، لأنها ليست من الأحكام الفرعية، بل هي من الأصول.
ثانيا: إذا علم أننا نعد الإمامة منصبا إلهيا، وأنها تختص بأفراد معينين عصمهم الله تعالى من الخطأ، فلا
جرم أن يكون هؤلاء مؤتمنين على الشريعة كما كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مؤتمنا عليها، والقرار الأخير
هو الصادر منه صلى الله عليه وآله وسلم، فلا تشاركه الأمة في اتخاذه (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى
الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) (١).
ولا تنافيه المشورة، إلا أن تشخيص المصلحة آخر الأمر يعود له وحده، ولا خطأ في أفعاله وقراراته صلى الله
عليه وآله وسلم، فلا مانع من انتقال تلك

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣: ٣٦.

الصلاحيات كما هي للإمام المنصوب، الذي هو أيضا لا يخطئ.
ج – الاجتهاد الشيعي المتميز: لعل الدكتور يقصد في قوله اجتهادات لدرجة التخيل تلك الأحكام التي تتعلق بفروض
نادرة أو يتوقع حدوثها، وهذه في الحقيقة شهادة متميزة للفقه الشيعي، الذي يتكيف مع مختلف العصور، ومع
الوقائع الحادثة حتى النادرة منها، والتي قد يتفق أن تقع في الحال أو المستقبل، وهو دليل واضح على أن الفقه
الشيعي لديه الأجوبة الشافية والسريعة دائما، خصوصا في المواقف الحرجة، ومثاله الصلاة على القمر وإن كانت
متخيلة منذ مائة سنة إلا أنها أصبحت واقعا ملموسا وممكنا، لذا فإن
التخيل المذكور يعد غناء في الفقه الشيعي والاجتهادي.
ثالثا: اجتهاد ابن تيمية:
قال: أقول هذا لشبابنا ليرى أن الفكر السني على مر تاريخه هو الذي كان يشتغل بذلك.. ابن تيمية كان يحمل
السيف ويجاهد ويكتب في السياسة والشرعية ويموت في سجن المماليك، من الذي يقول: إن هذا غير مجتهد، وإن
هذا لا يشتغل بالسياسة، وإن هذا غير ثوري، الذي يجاهد التتار، بينما كان هناك (ولا نريد أن نفتح الأبواب
)....
أ – اجتهاد ابن تيمية المخالف:
آخر ما كنت أتوقع هو أن يأتي الدكتور بشخصية جهادية في الفكر السني تكون نموذجا للثورية – تحمل السيف وتجاهد
، وتكتب في السياسة والشرعية، وتموت في السجن – كشخصية ابن تيمية، ليضعه في خانة الثوريين والأبطال في
الفكر السني!!
والظاهر أن في الأمر سرا خفي علينا نحن لا نعلمه..

ولعل الدكتور غاب عن ذهنه مراجعة سيرة هذا الرجل فجعل يصفه بتلك الأوصاف المخلدة لذكراه، وكأنه لم يعرف
سبب جعل ابن تيمية في السجن، وأنه حبس لا لأجل جهاده العريق، وإنما بسبب اعتقاداته المنحرفة التي لا تجتمع
مع جمهور المسلمين!
يقول ابن كثير – وهو تلميذه –: وفي ليلة عيد الفطر من تلك السنة [٧٠٦ ه] أحضر الأمير سيف الدين سلار
، نائب مصر، القضاة الثلاثة وجماعة من الفقهاء، فالقضاة: الشافعي والمالكي والحنفي، والفقهاء: الباجي
والجزري والنمواري، وتكلموا في إخراج الشيخ تقي الدين ابن تيمية من الحبس، فاشترط بعض الحاضرين عليه شروطا
في ذلك، منها أنه يلتزم بالرجوع عن بعض عقائده..
وفي سنة ٧٠٩ ه نفي إلى الإسكندرية، ومنها عاد إلى القاهرة، ثم إلى الشام.
وفي سنة ٧٢٠ ه صدرت منه فتاوى شاذة، فعقد له مجلس حضره القضاة والمعنيون من المذاهب الأربعة، وحبس خمسة
أشهر.
حتى جاءت سنة ٧٢٦ ه حين سجن مرة أخرى، ومات في قلعة دمشق للعلة ذاتها!!
هذا هو من قال عنه الدكتور أنه حبس من أجل جهاده في سجن المماليك... وقد تبين أنه كان يجاهد مذاهب جمهور
المسلمين وحبس بفتياهم – فتيا فقهاء المذاهب الأربعة – لانحرافه العقائدي (١).

---

(١) راجع تكملة السيف الصقيل – للشيخ محمد زاهد الكوثري –: ١٠٠.

ب – اجتهاد ابن تيمية في ميزان ابن حجر:
ب – وأما اجتهاده! فإني اقتصر على ما نقله العلامة الأميني عن الحافظ ابن حجر في كتابه الفتاوى الحديثة
ص ٨٦، قال: ابن تيمية عبد خذله الله وأضله وأعماه وأصمه وأذله، وبذلك صرح الأئمة الذين بينوا فساد أحواله
، وكذب أقواله، ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد، المتفق على إمامته وجلالته وبلوغه مرتبة
الاجتهاد، ابن الحسن السبكي، وولده التاج، والشيخ الإمام العز بن جماعة، وأهل عصرهم، وغيرهم من الشافعية
والمالكية والحنفية.
ولم يقصر اعتراضه على متأخري الصوفية، بل اعترض على مثل عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنهما
)!.
والحاصل: أن لا يقام لكلامه وزن، بل يرمى في كل وعر وحزن، ويعتقد فيه أنه مبتدع ضال مضل غال، عامله الله
بعلمه، وأجارنا من مثل طريقته وعقيدته وفعله، آمين..... لا تعليق!
الوسطية في اجتهاد ابن تيمية:
إن هذا النموذج الذي أعطاه الدكتور للشباب يهدم كل ما بناه في حواره، لأن عقائد ابن تيمية تخالف نظريته
حول الوسطية الإسلامية، إذ إنها لن تبقي من حب أهل البيت شئ لدرجة الإطاحة بكل المزارات والمقامات والمساجد
لرموز من آل البيت المقامة في مصر، التي يباهي بها معتبرا أن وجودها مصداق لوسطية الشعب المصري، لأنها
بنظر ابن تيمية شرك وبدعة! كما هي الحال الآن في مزارات البقيع! وعندها سلام على الوسطية يوم ولدت ويوم
ماتت!!..

قضية ولاية الفقيه:
قال: أنا أتصور أن الناس في إيران سواء كانوا من أهل الحوزات العلمية أو من أهل السياسة لا يمكن أن يتصوروا
أن النموذج الإيراني في ولاية الفقيه صالح للتعميم في العالم السني، وإلا نكون أمام موقف ساذج، فما نرفضه
في النموذج الإيراني وهو قضية ولاية الفقيه قد يكون سر قوة هذا النموذج داخل إيران، لكن لا يمكن أن يكون
مقبولا خارج الأطار الإيراني، لأن هذا بعد مذهبي.
أقول: بغض النظر عن أن هذا النموذج صالح للتعميم أو لا، لأن الإجابة تحتاج لدراسة مطولة تعرض فيها تلك
النظرية لترى إمكانية ذلك.. إلا أن الدكتور – جزاه الله خيرا – قد ساهم مساهمة فعالة في الإجابة عن أسئلة
هو طرحها عندما قال:
١ – أين هي الاجتهادات المتميزة في المذهب الجعفري التي ليس لها نظائر في مذاهب السنة الأربعة.
والجواب: إن نظام ولاية الفقيه – الذي هو سر قوة هذا النموذج – من الاجتهادات الشيعية المتميزة عن المذاهب
الأربعة بشهادتك حين قلت أيها الدكتور: لأن هذا بعد مذهبي.
٢ – وأن فردا هو المؤتمن على الشريعة... فأين الاجتهاد... وأين هي العقلانية في هذا الموضوع؟.
والجواب: إن نظام ولاية الفقيه – الذي هو سر قوة هذا النموذج – يكون الفرد فيه – المتمثل بقائد الثورة الإسلامية
– هو المؤتمن على الشريعة

والدولة، وهو الذي يدير دفة البلاد من شرقها إلى غربها مع أنه ليس بمعصوم عندنا، فكيف هي الشريعة أو الدولة
إذا أنيطت بالمعصوم؟!
٣ – أقول: الاجتهاد عند فقه الشيعة وقف عند أن هناك مرجعا له كتاب فقهي وله مقلدون.
والجواب: إن نظام ولاية الفقيه – الذي هو سر قوة هذا النموذج – أنيطت السلطة المطلقة فيه للفقيه المجتهد
العادل، الجامع للشرائط، والعارف بأمور زمانه، بما فيها شؤون الدولة والسياسة والمجتمع وغير ذلك، فلا
يقتصر على كتاب فقهي ومقلدون.
خاتمة في وسطية عادلة: ما نبغيه هو أن تتحلى الأمة الإسلامية بدرجة من الوعي في إطار تنسجم فيه جميع الأطراف
مع بعضها الآخر، فالوحدة الإسلامية مطلوبة بلا شك، إلا أن لها أسسا ومبادئ تقوم على الانفتاح الفكري والعقائدي
بين جميع الفئات المختلفة... ولكن في الطريق مررت بكتاب تحت عنوان شيعة... لكن لمن؟ لسمير الهضيبي
– تفضل باطلاعي عليه أحد سادتنا العلماء، عندما عرف بأني في صدد الكتابة حول ما جاء في حوار الدكتور عمارة
– والمفاجأة أن الغلاف كان يحمل ثناء وإطراء من الدكتور المذكور
للكاتب وقد جاء فيه:
فلقد سعدت بقراءة إبداعك الجديد (شيعة... لكن لمن؟) ويسعدني أن أضع بين يديك
– بعد التهنئة على هذا
العمل المتميز – هذه الانطباعات والملاحظات:
– لقد نجحت في تحويل تاريخ ظهور الإسلام... والصراعات التي

دارت حول الخلافة ومناهج الحكم في الحقبة الراشدة إلى خريطة حية يتذوقها جمهور من القراء أوسع من جمهور قراء
التاريخ..
– ونجحت في الحفاظ على دقة الحدث التاريخي..
– وإذا كانت المشاهد الفنية – الروائية – والتي شدتني وأمتعتني – كقارئ متذوق – قد جاءت قليلة بالقياس إلى
تدفق أحداث التاريخ ونصوص حوارات أبطاله... فلقد قام (إحياء) التاريخ مقام (الخيال) فكان أدبا من
لون جديد... الكلاسيكيات التي ينهض فيها الصدق التاريخي ليحل محل الروائيين!..
– كذلك نجحت في العرض المتوازن والوافي... التي مثلت مذاهب ومدارس التأريخ لهذه الحقبة... وكان جميلا
أن يظهر الإسلام في مكانه الإلهي... وأن تظهر بشرية الجيل الرائد الذي أقام هذا الدين... لقد نجحت
نجاحا عظيما في التمييز بين (المعصوم) و (غير المعصوم) على النحو الذي نرجو أن يسهم في حل مشكلات (القداسة
) أو (الافتراء) على هذا التاريخ!.. تلك هي الانطباعات... التوقيع د. محمد عمارة.
ترى، ماذا في الكتاب حتى راح الدكتور يثني عليه بهذه الطريقة مكررا نجاحه؟!
هل هو الحفاظ على دقة الحدث التاريخي وأن الشيعة من تأسيس عبد الله بن سبأ اليهودي؟!
أم إنه الأدب الجديد الذي يصور أصحاب أمير المؤمنين كميل بن زياد ومالك الأشتر بأبشع الصور الاستغلالية؟
!
أو لا، هو ذلك التمييز بين المعصوم وغير المعصوم وأن علي بن أبي طالب عليه السلام كان مولعا بالنساء؟!

أهكذا كان الكاتب يحل مشكلات القداسة أو الافتراء بنظر الدكتور المتذوق؟!!
إنها مجموعة افتراءات لا يوجد فيها مصدر واحد يعتمد عليه سماها الدكتور صدقا تاريخيا يحل محل خيال الروائيين
!!
وهل هي تلك الوسطية التي أتحفنا الدكتور بها؟!
أرى أن القاضي هو المدعي في هذه القضية، والحال أنه لا بد أن يكون طرفا محايدا...
مفكر إسلامي شدته وأمتعته قصص سمير الهضيبي الخرافية!!
وهل تنسجم مثل تلك الافتراءات مع الوحدة الإسلامية؟!
أين تماسك النسيج؟!!
(إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة) (١).
نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوحد صفوف المسلمين على العقائد الصحيحة، ويكشف عنهم الكرب والغم، راجين منه
عز وجل أن يحرر أرضهم من أيدي المستكبرين، ولا سيما الصهاينة منهم، إنه علي قدير.
والحمد لله رب العالمين.
* * *

---

(١) سورة النور ٢٤: ١٩.